الفصل الخامس
دور الملكة إليانور
في ثورة أبنائها ضد والدهم

- علاقة الملك هنري بروزاموند كلفورد وأثره على الملكة إليانور
- تراجع الملكة إليانور إلى إقطاعاتها بالجنوب
- تحالف إليانور وأبنائها مع الملك لويس السابع ضد الملك هنري
- تصدي الملك هنري لحركة التمرد وقضائه عليها
- انتقام الملك هنري من الملكة اليانور
- ثورة الدوق ريتشارد ضد والده الملك هنري
- وفاة الملك هنري الثاني

الفصل الخامس
دور الملكة إليانور في ثورة أبنائها ضد والدهم

علاقة الملك هنري بروزاموند كلفورد وأثره على الملكة إليانور :

عندما كان هنري في الأربعين من عمره اعترف للمرة الأولى أن روزاموند Rosamond هي خليلته، وكانت في الثلاثين من عمرها[1] وهي ابنة رجل نبيل اسمه وولتر كلفورد Walter clicford وهو فارس نورماني كان يقيم في قلعة على حدود ويلز انضم إلى قواته أثناء حملته عليها 1156م وهناك إشاعات على أن هذه المرأة هي أم لأبناء هنري الغير شرعيين جيفري ووليام لكن هذا مستحيل لأن كلاهما ولد في عام 1150م بينما كانت روزاموند صغيرة، كما أنه لم يقابلها إلا في عام 1166م[2].

كانت روزاموند هي المرأة الوحيدة التي أحبها هنري في حياته وقد عاشت معه في القصر الملكي في وود ستوك في قصر اكسفورد شاير الذي أعاد الملك تأسيسه خصيصا لها وذلك قبل وفاتها في عام 1176م بعامين أو ثلاث وقد عد المؤرخون وفاتها على أنه جزاء استحقته لاقترافها الزنا. وقد دفنها الملك الحزين في قبر أمام المذبح العالي في دير الراهبات جودستو Godstow وفيما بعد قدم هو ووالدها هبات كثيرة للدير من أجل ذكراها[3] لكن في عام 1191م، وبينما كان القديس هيو Huye أحد أساقفة مدينة لنكولن يزور كنيسة جودستو، ارتعد حين وجد قبر زانية داخل الكنيسة، وقد زين بشكل رائع جدا وحتى يضع حدا لهذا الإثم العظيم أمر بإزالة المزار الذي حوى القبر وبذلك باتت روزاموند خارج الكنيسة[4].

بعد قرون من وفاة روزاموند شرع المؤرخون يحكون بعض الحكايات حولها فذكروا أن هنري أخفى عشيقته في مخدع سري لا يمكن الوصول إليه داخل وودستوك لحمايتها من أعين الرجال، ومن زوجته إليانور وغيرتها غير أن إليانور عرفت طريقها داخل المتاهة باستخدام خيط حريري حتى وصلت إلى مخدعها السري وجعلتها تنزف داخل الحمام حتى ماتت[5].

وورد في قرون تالية أن إليانور استخدمت سكينا وكأسا مسموما وأجبرت روزاموند أن تختار أحدهما فاختارت كأس السم.

وعلى الرغم من ذلك فلا يوجد في الروايات المعاصرة تلميح عن الغدر في موت روزاموند كلفورد، وبالتأكيد لا يوجد دليل لدعم قصة كأس السم والخنجر[6].

---

(1) سهيل زكار: الموسوعة الشامية، ج30، ص749.

(2) Arther, T.A. "Clifford, Rosamond" in dictionary of National Biography, Vol, 9, P. 531, Mede, Eleanor, P. 234, Kelly, Eleanor, P. 151, Alison, Eleanor, P. 165, Dismond, Eleanor, P. 108.

(3) سهيل زكار: الموسوعة الشامية، ج30، ص749.

(4) Roger of Hovedone, Annals, Vol, 2, P. 257, Meade, Eleanor, P. 236, Kelly, Eleanor, P. 151.

(5) Child, Francis James. English and Scottish Ballads. 8 Vols. Boston: Little, Brown and co, 1857 – 1858, Vol, 7, PP. 283 – 291.

(6) Meade, Eleanor, P. 235, Kelly, Eleanor, P. 152, Dismond, Eleanor, P. 108.

جاء الربط بين إليانور وسيرة روزاموند في سجل مجهول في القرن الرابع عشر وهو تاريخ انجلترا والذي ذكر مؤلفه أن الملكة الغيور ليست إليانور أوف أكوتين، ولكن كانت إليانور من بروفانس زوجة هنري الثالث ملك انجلترا.

وفي رواية جراند جوجنول Grand Juignol ذكر أن الملكة وضعت روزاموند عارية بين نارين في حجرة محكمة الغلق وبعد ذلك وضعتها في حوض وقطعت عروق يدها انتهت بوضع ضفدعين مروعين على صدر روزاموند، لأنه كان منمق وظلت روزاموند تنزف في الحمام حتى الموت بينما كانت إليانور تثرثر وهي سعيدة مثل الضفادع التي تمتص رواسب الدم الطينية[1].

أما جيرالد الويلزي Gerald of Wales فلم يتردد في ذكر أن الملك الذي ظل لفترة طويلة زانيا في الخفاء، أصبح الآن يتباهى بعشيقته ليراه الجميع ثم علق قائلا "إن روزاموند ليست زهرة العالم كما ادعى بعض المؤرخين الحمقى لكنها زهرة غير عفيفة"[2].

كانت إليانور تواجه حركات تمرد البارونات في أنجري خلال شهور عامي 1166، 1167م عندما سمعت بحكايات زوجها وعشيقته، ومع أن علاقة روزاموند بالملك مست العصب الحساس لدى إليانور إلا أن علاقة إليانور بهنري كانت قد تطورت إلى الأسوأ في الأوقات الأخيرة لأسباب لم يكن لها علاقة بالغيرة النسائية.

كان استياء إليانور وسخطها على هنري ناتجا عن تضاءل تأثيرها ومكانتها تدريجيا لأنها لم تسع إلا إلى ممارسة الحكم والسلطة، فبالنسبة لها فإن العلاقة الملكية بينها وبين هنري كانت تعني اشتراك في النفوذ والسلطة.

أما هنري فكان ينظر إلى المرأة على أنها خلقت لإنجاب الأطفال وبعد تقدم عمرها كان عليها التقاعد والاعتزال والانضمام إلى أحد الأديرة، لذلك وبعد اتساع امبراطورية هنري عمل على إبعاد إليانور تدريجيا عن السلطة والحكم.

اختلفت إليانور عن نساء عصرها بأنه كان لديها ممتلكات خاصة لإنقاذها من هذا الذل، فقبل أن تكون ملكة لفرنسا أو ملكة لانجلترا كانت دوقة أكوتين وكونتيسة بواتييه وأتباعها لم يكونوا أبدا سعداء وراضين بحكم الأجانب لهم[3].

على أية حال وطوال عام 1167م، اختارت إليانور البقاء في انجلترا للاستعداد لزفاف ابنتها القادم ورغم أن الزواج سيكون في ألمانيا لكن كانت هناك استعدادات كثيرة.

كان على إليانور أن تجهز العروس بما يليق بمكانتها ومكانة هنري الأسد لذلك اشترت إليانور ملابس وأمتعة باهظة التكاليف ولتغطية هذه النفقات استغل هنري امتيازاته الملكية وفرض ضريبة خاصة على بارونات.

وصل المبعوثون الألمان لمرافقة ماتيلدة إلى ألمانيا في يوليو 1167م في أواخر سبتمبر من نفس العام رافقت إليانور ابنتها إلى دوفر Dover وتم تحميل الحقائب والصناديق الخاصة بالعروس على السفن الألمانية[4].

(1) Chroniques de London, Edited by Grand Juignol, (London, 1844), P. 3, Meade, Eleanor, P. 253, Kelly, Eleanor, P. 152.
(2) The Authobiography of Giroldus Cambrensis. P. 165, Meade, Eleanor, P. 235, Kelly, Eleanor, P. 152.
(3) Meade, Eleanor, PP. 235 – 237 – 238, Alison, Eleanor, P. 173.
(4) Meade, Eleanor, PP. 238 – 239, Alison, Eleanor, P. 169, Owen, Eleanor, P. 57.

وهناك رواية تذكر أن إليانور سافرت مع ابنتها إلى ألمانيا لكن تلك الرواية مشكوك فيها لأنه من المعروف أن إليانور سافرت إلى نورماندیا وعادت فورا.

تراجع الملكة إليانور إلى إقطاعاتها بالجنوب :

جمعت إليانور وحزمت كافة أمتعتها وكل ما يخصها عندما كانت في ونشستر واحتاجت لنقلهم إلى حوالي سبع سفن[1] وأثناء احتفالها مع زوجها بعيد الميلاد عام 1168م في نورمنديا، أخبرته بأنها تريد العودة إلى مقاطعاتها الخاصة ولم تظهر له شعور الكراهة الذي كانت تكنه له لكنه من المؤكد أنه قد لاحظ تغير مشاعرها وفتورها نحوه، وهي لم تطلب الطلاق من زوجها لكنها قررت أن يفترقا بشكل غير رسمي وقد بررت إليانور عودتها إلى أكونتين على أن وجودها قد يساعد على تخفيف النزاع بين هنري وأتباعها.

وافق هنري على اقتراح إليانور خاصة وأنه قضى معظم شهور عام 1167م في القضاء على حركات التمرد التي قام بها أتباع إليانور في المقاطعة بعد محاولتهم تقديم ولائهم للويس السابع ملك فرنسا بدلا من هنري الثاني، وبعد الاحتفال بعيد الميلاد رافق هنري وجيشه إليانور إلى بواتييه وقد بدت عودة إليانور على أنها جزء من سياسة هنري بدلا من كونها استراحة شخصية لكل من إليانور وهنري الثاني.

وفي الوقت الذي وصلت فيه إليانور إلى بواتييه كانت كل البلاد الواقعة جنوب نهر اللوار تقوم بحركة تمرد واسعة بزعامة كونت أنجوليوم ولامارش وعائلة لوزجنان، لم يضع هنري الوقت فقام بالهجوم على قلعة لوزجنان واستولى عليها ودمر أسوارها والأراضي المجاورة، أما باقي زعماء التمرد فنجحوا في الهرب حتى أن معظم العائلات النبيلة المشهورة في أكونتين أصبحت مشردة[2] وسط الطرقات وتعاني من الجوع وتحولوا إلى لصوص وذلك منذ شهر مارس 1168م بينما لجأ البعض الآخر إلى فرنسا بعد أن سمح الملك لويس لكل أعداء هنري باللجوء إلى هناك.

رغم الهدوء النسبي الذي ساد أكوتين لكن هنري كان مدركا لثقة إليانور العمياء في رالف دي فاي، لذا اتخذ كافة الإجراءات الوقائية خشية أن تتجه إليانور إليه فقام بتعيين الإيرل باترك Batric القائد العسكري ليكون مسئولا عن أمان المنطقة والقضاء على أي حركة تمرد ولتحقيق الأمان لإليانور.

بعد رحيل هنري اكتشفت إليانور أن الأمان الذي كان هنري يخطط له سراب ففي السابع والعشرين من مارس من نفس العام وبعد ايام قليلة من مغادرته كانت إليانور والايرل باترك يسيران بالقرب من قلعة لوزجنان وفجأة تعرضا لهجوم كمين برئاسة اثنين من آل لوزجنان اللذين قررا أسر الإيرال باترك وإليانورو احتجازهما طلبا للفدية وعندما شعرت إليانور بوجود الكمين أمرت الإيرال باترك Batric بالاستعداد للمعركة[3] لكن آل لوزجنان لم يعطوه الفرصة فهجموا عليه وقاموا بذبحه وخلال تلك المعركة أبدى المارشال وليام ابن أخ الإيرل باترك – والذي كان في الثانية والعشرين من عمره شجاعة نادرة في الدفاع عن إليانور وظل يقاتل حتى وقع في الأسر.

لم تكن إليانور هي الشخص الأول الذي شاهد مهارة وشجاعة المارشال لذلك لم ترتب إليانور لدفع فديته فقط بل منحته الخيول والملابس والأكثر من ذلك أنها فتحت له باب قصرها

(1) Eyton, Court, Household, PP. 109–112, Meade, Eleanor, P. 239, Alison, Eleanor, P.169.
(2) Meade, Eleanor, PP. 239 – 240, Alison, Eleanor, P. 170.
(3) Meade, Eleanor, PP 240 – 241, Kelly, Eleanor, P. 154, Alison, Eleaor, P. 171 – Owen, Eleanor, P. 57, Dismon, Eleanor, PP. 109 – 110.

وتبنت طموحاته، كما أحضرته إلى عائلتها كمعلم وصديق ورفيق للأمير هنري، وهكذا أصبح الطريق ممهدا لارتفاع مكانته وتحوله من فارس إلى وصي على انجلترا.

وبموت الإيرال باترك، انشغل هنري بمشاكل أخرى حتى نهاية عام 1168م، مما جعله لا يهتم بما يحدث في أكوتين فترك إليانور بمفردها هناك[1]، بينما ظل هنري في انجلترا ترأست إليانور محكمتها الخاصة في بواتييه مع ابنها المفضل ريتشارد وعدد من أطفالها الصغار واستطاعت أن تحكم دوقيتها بيد من حديد، فالخبرة التي اكتسبتها خلال إدارتها لشئون انجلترا، ساعدتها على إدارة دوقيتها بنجاح[2].

قامت منازعات بين الملك هنري والملك لويس الفرنسي مما دعا الأخير إلى استخدام الدبلوماسية لحل المشاكل التي بينهما حيث اقترح لويس على هنري أن يقسم إمبراطوريته بين أبنائه الثلاثة الأكبر سنا، فيعطي ابنه الأكبر الأمير هنري مقاطعة أنجومين، وبعد ذلك يقدم الأمير هنري الولاء إلى لويس باعتباره سيده الإقطاعي. على نفس النمط يستلم ريتشارد دوقية أكوتين وبعدها يقدم الولاء والتبعية للويس الذي عرض عليه تزويجه ابنته أليس Alice أما جيفري فيتولى دوقية بريتاني وأيضا يقدم ولاءه للملك لويس ومن الواضح أنه كان يهدف من وراء اقتراحه تقسيم وإضعاف الإمبراطورية الانجيفية، لكن هنري الثاني كانت تسيطر عليه حالة من القلق الشديد حول مبدأ وراثة العرش الذي كان يحاول تطبيقه في المملكة ووجد أن الطريق الأكيد ليتولى أبناؤه الحكم من بعده لن يحدث إلا بتقديم الولاء والتبعية إلى ملك فرنسا في حياته لذا وافق هنري على الترتيبات التي اقترحها لويس مع إضافة بعض التعزيزات التي تحول دون حدوث أية خلافات بينه وبين أبنائه في المستقبل مهما حاول لويس القيام بذلك[3].

وفي عيد الغطاس عام 1169م اجتمع لويس السابع وهنري الثاني في مونت ميرال Montmirail التي تقع على حدود مين بالقرب من شارتر Chartres وكان يصحب كلاهما حاشية ضخمة، خاصة هنري الذي كان مصحوبا بأبنائه الثلاثة، كل منهم متألق في ملابسه ومحاطين بالبارونات والفرسان[4]، وافتتح هنري المفاوضات مع لويس بخطاب رصين بلاغيا، فتحدث قائلا "سيدي الملك، في عيد الغطاس هذا أوصي بأبنائي الثلاث وأراضي إلى حمايتك"[5].

قدم هنري الثاني خلال الاجتماع ولاءه إلى لويس كما وعده بإعادة القلاع والأراضي التي استولى عليها من الثوار الأكوتينيين والذين لجأ العديد منهم إلى فرنسا، وفي اليوم التالي من الاجتماع قدم الأمير هنري ولاءه عن أراضيه في Anjou Maine في أنجو ومين إلى لويس، ولإعجابه بالأمير هنري وإظهار تقديره له قام بتعيينه مندوبا أو وكيلا لأمير فرنسا. كما قدم ريتشارد ولاءه إلى لويس نيابة عن مقاطعة أكوتين ميراثه الشرعي وبعد ذلك قدم لويس إلى ريتشارد عروسة أليس Alice التي كانت في التاسعة من عمرها وسلمها للملك هنري لتتربى وتنشأ في بلاطه.

(1) Meade, Eleanor, PP. 240 – 241, Kelly, Eleanor, P. 154, Alison, Eleanor, P. 171, Dismond, Eleanor, PP, 109 – 110.
(2) Meade, Eleanor, PP. 240 – 242.
(3) Meade, Eleanor, P. 242, Kelly, Eleanor, P. 159, Owen, Eleanor, PP. 57 – 59, Alison, Eleanor, P. 172, FFiina, Eleanor, P. 45, Dismond, Eleanor, P. 117.
(4) Meade, Eleanor, P. 243, Kelly, Eleanor, P. 135, Owen, Eleanor, P. 59 – 60.
(5) William of Canterbury, Materials for the History of Thomas, Becket Edited by J.C. Robertson. Rolls Series 67, Vol, 1, P. 37, Meade, Eleanor, P. 243 Kelly, Eleanor, P. 135.

أخيرا تقدم جيفري الذي كان في العاشرة من عمره ليأخذ موافقة لويس على زواجه من وريثة بريتاني.

اندهش كل من حضر مؤتمر مونت ميرال من موقف هنري الثاني وموافقته على تقسيم أراضيه التي اكتسبها بمشقة بالغة إلى أولاده فذكر البعض أنه فعل ذلك لأنه كان يخطط سرا للقيام بحملة صليبية إلى الأراضي المقدسة، بينما ذكر البعض الآخر أنه كان يخطط للحصول على الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ولذلك أراد التخلص من مسئولية حكم بلاده(1).

كان توماس بيكيت من بين الحاضرين في مونت ميرال وقد راقب تقليد المناصب في الاجتماع حتى نفد صبره، ولم ير توماس بيكت الملك هنري منذ معركتهم الأخيرة في نورث هاميتون منذ أربعة أعوام وخلال هذه السنوات كان توماس مصدر إزعاج لهنري دائما(2) ففي عام 1166م، قام بيكيت بعد احتفاله بالقداس في مدينة فيزلاي Vezelay بطرد كل ضباط هنري الذين ارتكبوا الجرائم سواء ضد بيكيت أو ضد الكنيسة، كما هدد الملك بإنزال اللعنة عليه إذا واصل اضطهاده للكنيسة، مما أدى إلى زيادة غضب هنري بعدما سمع بتهديده(3)، وبحلول عام 1169م كان كلا من بيكيت وهنري تواقين لإنهاء الخلافات بينهما، فالأول يرغب في العودة إلى انجلترا وأما هنري فكان مشتاقا لعودة بيكيت حتى يقوم بتتويج إبنه الأكبر الأمير هنري(4).

أعلن بيكيت في هذا المؤتمر استعداده للخضوع للملك هنري الثاني والتمس منه العفو عنه وعن أتباعه والسماح لهم بالعودة إلى انجلترا ورد ممتلكاتهم وممتلكات الكنيسة إليهم.

أما هنري فأجاب أمام ملك فرنسا أنه لم يقم هو أو أحد من رجاله بطرد بيكيت من المملكة، وإنما هو الذي هرب ليلا كما أعلن استعداده للسماح له بتولي أمور الكنيسة بنفس قدر الحرية التي كان يحظى بها من سبقوه في هذا المنصب بشرط أن يعامل الملك هنري بنفس الطريقة التي كان أسلافه من رجال الدين يتعاملون بها مع العلمانيين(5).

اندهش جميع الحاضرين من تواضع الملك أمام بيكيت حتى أن لويس نفسه بدا متعجبا من موقف هنري ووجه حديثه إلى بيكيت قائلا "سيدي رئيس الأساقفة، إن السلام الذي تتمناه قد عرض عليك، لماذا تتردد؟ هل تريد أن تكون أكثر من قديس".

على أية حال فإن المؤتمر انتهى دون الوصول إلى قرار أو حل فاصل بين بيكيت وهنري الذي غادر دون أن يعطي بيكيت قبلة السلام(6).

تابعت إليانور وهي في قصرها في بواتييه أخبار هنري وأحداث مؤتمر مونت ميرال، وانتابتها الدهشة عندما علمت بالوعود التي قدمها هنري لأنها كانت تدرك جيدا أن هنري ليس الشخص الذي يتخلى عن ألقابه أو أراضيه لمصلحة أبنائه خاصة وأنه كان لا يزال شابا في الخامسة والثلاثين من عمره.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 243, Kelly, Eleanor, P. 135, Owen, Eleanor, PP. 59 – 60, Alison, Eleanor, PP. 177 – 178.
(2) Meade, Eleanor, P. 244.
(3) Meade, Eleanor, P. 244, Owen, Eleanor, P. 60.
(4) Meade, Eleanor, P. 245, Kelly, Eleanor, PP. 137 – 138.
(5) رالف أوف دسيو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص493-494.
Meade, Eleanor, P. 245, Kelly, Eleanor, PP. 137 – 138, Alison, Eleanor, P. 178.
(6) رالف أوف دسيو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص494
Meade, Eleanor, P. 245, Kelly, Eleanor, P. 138.

بعد عودة إليانور إلى بواتييه عام 1168م حاولت إعادة السلام إلى مقاطعاتها خاصة وأن هنري إتبع سياسة عدم التدخل في حكم أكوتين بعد مغادرته لها في أغسطس عام 1169م وذكر بعض المؤرخين أن إليانور خلال إقامتها هناك[1] أنشأت محكمة الحب[2] التي ظلت نشطة طوال خمسة أعوام وهي السنوات التي قضتها إليانور في بواتييه قبل عودتها إلى انجلترا، كما أضافوا أن إليانور ظلت مقيمة في المدينة ولم تخرج منها طوال هذه السنوات.

لكن الحقيقة أنها سافرت كثيرا في أراضيها الخاصة ومن حين لآخر في مقاطعات الجزيرة الإنجليزية كذلك اندهش معاصروها من الترتيبات الخاصة التي قامت بها مع هنري، فلم يكن من السهل فهم علاقتها السياسية مع هنري لكن على ما يبدو أن الانفصال بينهما كان انفصالا وديا[3].

رغم شهرة هنري باستبداده وعدم سماحه لإليانور بممارسة كامل حريتها في حكم الدوقية إلا أنه كان في بعض الأحيان يعطيها الحق في حكم مقاطعاتها طالما أن ذلك لا يتعارض مع مصالحه الخاصة وطالما أثبتت أنها زوجة مخلصة ومطيعة له.

في الحقيقة أن حكم إليانور لدوقيتها عاد على هنري بالعديد من الفوائد حيث أنقذ سمعته وفشله في التغلب على مشاكل أهل أكوتين بالإضافة إلى تحقق رغبته في التخلص من زوجة لم يعد يرغب فيها وقد اعترفت إليانور أنها لم تعد الشابة الحسناء التي أبهرت العالم بجمالها من بوردو إلى أنطاكية، كم أدركت أنها تجاوزت السابعة والأربعين[4] وهذا السن في القرن الثاني عشر كان يعد بداية الشيخوخة[5]، ووجدت أنه لم يبق بجانبها وهي في تلك المرحلة من العمر سوى أبنائها خاصة ريتشارد وريثها لذا عزمت بعد عودتها لوطنها على قرار حاسم وهو فصل دوقيتها عن المملكة الإنجليزية وخلق عالم خاص بها يعكس عظمة الماضي ويتنبأ بروعة المستقبل خاصة بعد أن عانى أتباعها من حكم الأجانب لهم أكثر من ثلاثين عاما، وحتى تزيل القلق والخوف الذي سيطر على مدن وقرى الدوقية، قامت بعدة رحلات إلى كل ركن فيها، خاصة الجهات التي لم تقم بأي حركة تمرد.

وخلال تلك الزيارات لم تصطحب إليانور معها جيش المرتزقة الذي كان واجبهم إجبار الأتباع على البقاء داخل قلاعهم من أجل أمان وسلام الملكة والتي كانت متلهفة بعد عودتها لتعويض أتباعها عن الانتهاكات الماضية، وطالبت أتباعها بتجديد الولاء والتبعية لإبنها ريتشارد كما بدأت برفع الظلم عن أتباعها وأثرت على أتباعها المتمردين ونزعت فتيل ثورتهم المتفجرة ومرة أخرى أصبح القصر الدوقي في بواتييه – الذي ظل مظلما سنوات عديدة – مركزا للثقافة والعلم والشعر كما كان زمن والدها وجدها.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 246, Owen Eleanor, P. 60.

(2) كانت محاكم الحب تلك تتكون من سيدات نبيلات حيث يرسل الأحباء المختلفون معا قضاياهم أمامهم بدون ذكر أسمائهم حتى تقرر أو تنظر المحاكم في تلك القضايا.
وقد ترأست إليانور أحد هذه المحاكم هي وابنتها ماري ومن المحتمل أن تكون إليانور وكذلك اقتداء بها سيدات أخريات من فرنسا قد نصبوا أنفسهن حكاما في مشكلات الحب، حيث يقدم المحبوب شكواه أمامهم وإذا ثبت لدى المحكمة أن المحب مذنب فإنه يدفع غرامة مالية. انظر:
Frank Mcminn, somelegends, speculum, Vol, 1, P. 465.
ولمزيد من التفاصيل عن محاكم الحب انظر الفصل السابع من البحث.

(3) Meade, Eleanor, P. 246, Alison, Eleanor, P. 178 - 179, Owen, Eleanor, P. 60.

(4) Meade, Eleanor, P. 247, Dismond, Eleanor, P. 109, Alison, Eleanor, P. 179, FFiona, Eleanor, P. 45..

(5) Holmes – Daily living in the twelfth century, PP. 226 – 227.

ضم القصر الدوقي العديد من الشعراء والموسيقيين والعلماء والأدباء حيث رحبت إليانور بكل هؤلاء في بلاطها وأقامت المعارض والبطولات والمسابقات الثقافية وأنفقت ببذخ عليها[1].

لقد عاد إلى القصر كل الشعراء والأدباء الذين حاولوا الاحتماء من بطش هنري بلانتاجنت حيث هدأت إليانور من روعهم وعملت على التخلص من الذكريات المرة.

وفي كافة المناسبات التي أقامتها إليانور دفعت بابنها ريتشارد إلى الضوء باعتباره الوريث الشرعي لجدها الشاعر المتجول، كما رتبت في بواتييه لتتويج ريتشارد دوقا لأكوتين ودعت رئيس أساقفة بوردو لتقديم ريتشارد بالرمح والراية (اللواء الذي يدل على أن حامله أصبح حاكما بارزا)[2].

في مدينة ليموج Limoges تم إقامة الترتيبات الخاصة بتتويج الأمير ريتشارد دوقا لأكوتين.

رافق ريتشارد موكب عظيم إلى الكنيسة يوم التتويج حيث عقد تحالفا رمزيا مع القديسة فاليري[3] Saint Valery ووضع خاتمها على إصبعه مؤكدا على ارتباطه بأرض أجداده برباط متين لا ينفك كما ارتدى سترة حريرية وتاجا ذهبيا.

قاد ريتشارد موكب رجال الدين إلى مذبح الكنيسة حيث استلم سيفه وبعد ذلك قام بالاشتراك في مسابقة للمبارزة مع أقرانه. وقد شعر أهل الجنوب بالسعادة وبإعجابهم بحفل تتويج ريتشارد الذي فاق أي تتويج في باريس، وبعد ذلك شعرت إليانور بالراحة والاطمئنان فالمشاكل التي واجهتها في حكم المنطقة الصعبة والتي كان من الصعب على أي حاكم سبقها أن يتغلب عليها اختفت ولم يعد لها أي وجود وساد المنطقة السلام والأمان[4].

احتفلت إليانور وعائلتها بعيد الميلاد لعام 1170م في قلعة بوريس Bures حيث احتشد المطربون والمشعوذون الذين وثبوا وسط الضيوف وضجت القاعة كعادتها عند حضور البلانتاجنت إليها بالضوضاء والضحك الصاخب، فالعائلة المالكة التي ظلت مشتتة عدة سنوات تجمع شملها مرة أخرى للاحتفال بقداسهم المهم حيث تخلت إليانور عن قصرها العظيم في بواتييه وانتقلت إلى تلك القلعة المظلمة حتى تكون في رفقة زوجها وأطفالها ريتشارد وجيفري وجوانا وجون الذي كان في الرابعة من عمره، وضعت إليانور وهنري خلافاتهما الماضية جانبا وأخذا ينظران بافتخار إلى السلالة التي أنجبوها في أيام الصفا والسعادة والهدوء.

لقد كان عام 1170م عاما سعيدا للعائلة المالكة فقد ساد السلام والهدوء في المملكة ولأول مرة تمتعت أكوتين بالهدوء كما أن الإنجازات والإصلاحات التي قام بها هنري أخذت تؤتي ثمارها وحققت دخلا متزايدا للمملكة كما تم تتويج الأمير هنري الشاب ملكا على إنجلترا في ويست منستر

(1) Meade, Eleanor, P. 248, Kelly, Eleanor, P. 155, Alison, Eleanor, P. 175, FFiona, Eleanor, P. 45.

(2) Meade, Eleanor, P. 248, Kelly, Eleanor, P. 155, Alison, Eleanor, P. 175, Dismond, Eleanor, PP. 110 – 111.

(3) كانت القديسة فاليري Saint Valery حامية مدينة ليموج عذراء نبيلة، وطبقا للأسطورة، أنها ضحت بحياتها من أجل إيمانها في فجر المسيحية، وفي أيام أجداد إليانور لعبت أسطورة القديسة فاليري دورا هاما في تتويج دوقات أكوتين، وقد قامت إليانور بإيقاظ تلك الأسطورة وغيرها من الطقوس القديمة عند تتويج ابنها ريتشارد. انظر: Meade, Eleanor, P. 248.

(4) Meade, Eleanor, P. 248, Kelly, Eleanor, P. 155, FFiona, Eleanor, P. 46.

بواسطة رئيس أساقفة يورك[1] York مما أعاد الخلاف بين رؤساء الأساقفة الإنجليز حول الريادة[2].

وفي تلك الأثناء أيضا تمت خطبة إليانور الابنة التي كانت في التاسعة من عمرها إلى ملك صقلية الملك الفونسو الصغير الملقب فيما بعد بالثامن، وبذلك نجح الملك هنري في عقد تحالف مع مملكة قشتالة وهذا ساعده في القضاء على الاضطرابات التي تأتي من الجنوب بتحريض ملك فرنسا لويس السابع[3].

سقط الملك هنري مريضا في أوائل أغسطس 1170م وشعر بدنو أجله لذلك كتب وصية يؤكد فيها على معاهدة مونتريال والتي قسم فيها مملكته بين أبنائه الكبار، وأقسم على أنه إذا تماثل للشفاء فإنه سوف يقوم بالحج إلى دير أوكادور في كويرسي[4] Quersy[5].

أدى تماثل هنري للشفاء إلى رغبته في عقد معاهدة للسلام مع بيكيت وتم ذلك في مدينة فرتيفال Freteval في يوليو عام 1170م حيث توصل الملك ورئيس الأساقفة إلى اتفاق سلام بينهما وبعدها كتب الملك هنري إلى ابنه الأمير هنري الذي كان مقيما في انجلترا حينذاك وأخبره بتصالحه مع بيكيت وطلب منه السماح لرئيس الأساقفة وأتباعه بالمرور بسلام داخل المملكة وبناء على ذلك عاد رئيس الأساقفة إلى انجلترا ونزل في ميناء سندوتش Sandwich الذي يقع على بعد ستة أميال من كانتبري وذلك في بداية ديسمبر 1170م بعد غياب دام ست سنوات وتعرض للقبض عليه من قبل رجال الملك هنري وأتباعه في الميناء لكنهم أطلقوا سراحهم بعد اطلاعهم على رسالة الملك التي تسمح له ولرفاقه بعبور أراضي المملكة بأمان.

استقبل الأهالي توماس بيكت استقبالا حافلا وبعدها توجه لزيارة الأمير هنري الذي كان في ودستوك Woodstock آنذاك، وفي الطريق تقابل مع رسل الأمير القادمين لدعوته إلى زيارته، لكن بيكيت رفض الذهاب للأمير وعاد إلى كنيسة كانتبري، وأخذ يعد العدة للاحتفال بعيد الميلاد هناك[6].

وفي اليوم الخامس من أيام عيد الميلاد وبينما كان بيكيت مقيما في جناحه ومع أعوانه دفع الغضب أربعة من فرسان الملك هنري الذين قدموا من نورماندیا وهددوه باسم الملك الذي كان مقيما في نورمنديا وطالبوا بإعادة الأساقفة الإنجليز الذين عزلهم من قبل إلى مراكزهم، وأن يرفع الحرمان الكنسي عن المجرمين.

رفض بيكيت الانصياع لأوامرهم مما نتج عنه ازدياد غضبهم فقرروا قتل بيكيت حيث اقتحموا كنيسة كانتربري وأخذوا يبحثون عنه بينما كان يؤدي إحدى الصلوات وبمجرد سماعه

---

(1) يورك York: مدينة إنجليزية فهي غيبروكم Eboracum قديما، وكنيسة رئيسة في شمال يوركشير Yorkshire تقع على نهر أيوس Ause. كما تلعب دورا اقتصاديا كحلقة اتصال بين المدن الصناعية.
Moore, op. cit, PP. 875-6.

(2) Meade, Elenaor, PP. 254 – 255, Owen, Eleanor, PP. 62 – 63.

(3) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص493.

(4) كيورسي: مدينة فرنسية تقع في الجنوب الغربي وتشمل جزءا كبيرا من حوض نهر الجارون وعاصمتها كانت مدينة جاهورس. انظر: Moore, Encylopidia, P. 642.

(5) Meade, Eleanor, P. 255, Owen, Eleanor, P. 63.

(6) روجر أوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص263-264، رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص495-496،
Meade, Eleanor, PP. 255 – 256.

لنداءهم اتجه ناحيتهم وما أن رأوه حتى انهالوا عليه ضربا بسيوفهم حتى تهشمت رأسه وسقط بيكيت قتيلا وسط بركة من الدماء بعد ذلك حمله الأساقفة وقاموا بدفنه أمام المذبح.

كان الملك هنري ملك انجلترا آنذاك مقيما في نورمنديا حين وصله خبر مقتل بيكيت حيث انفجر في موجة شديدة من الحزن والبكاء وبدل ثيابه الملكية بثياب ركيكة ووضع فوق رأسه الرماد وظل في غرفته ثلاثة أيام لا يخرج منها ولا يدخل إليه أحد حتى الطعام امتنع عنه وكان الهدف الأكبر هو إثبات براءة الملك من دم توماس بيكيت أمام البابا فوضع نفسه أمام عدالة الكنيسة ووعد بتنفيذ كل قراراتها[1].

أما الأمير هنري فقد قام برثاء بيكيت لأنه كان يعتبره أباه الروحي وبالنسبة لإليانور فلم تبد تعليقا على مقتله، وإن كانت ترى أن الحدث كابوسا تتمنى أن تفيق منه.

تحالف إليانور وأبنائها مع الملك لويس السابع ضد الملك هنري :

مرت الحياة هادئة في بواتييه أكثر مما كانت قبل ذلك، فظلت محاكم الحب التي عقدتها إليانور وظل القصر يعج بالمغنين والشعراء والنساء لأن إليانور تخلصت من قيود هنري الذي وصلته أخبار عن عزمها عقد تحالف مع طليقها الملك لويس السابع رغم عدم وجود أدلة على ذلك.

تأثر أبناء هنري الكبار بمقتل توماس بيكيت، وسمعوا بمدى الصداقة التي كانت تربطه بوالدهم، وكان للاتهامات التي شاعت في العالم عن مسئولية الملك ودوره في قتل رئيس الأساقفة أن اهتزت صورة أبيهم في نظرهم، فقد سقطت صورة البطل التي لازمتهم طوال عمرهم[2].

فقد الملك هنري شهرته وتحدثت السجلات عن انقلاب أبنائه وكراهيتهم له، حقيقة أنهم ظلوا على احترامهم له لكنهم لم ينفذوا مطالبه فعهدوا إلى عدم لقائه إلا في مناسبات خاصة مثل أعياد الميلاد أو أعياد الفصح وذلك بعد غيابه عدة شهور وأحيانا سنوات طويلة وكانت تدور في أذهانهم إلى جانب حادثة بيكيت سوء معاملته لوالدتهم، وعلاقته الآثمة بروزاموند.

لاشك أن إليانور شعرت بكراهية أطفالها لوالدهم وسمعتهم كثيرا وهم يتحدثون عنه باحتقار شديد فبعد مؤتمر مونت ميرال لم يعد هؤلاء الأطفال صغارا مثل ما كانوا من قبل فقد أصبح عمرهم ما بين السابعة عشر والخامسة عشر والرابعة عشر وأصبح لهم شخصيات متميزة ومتنوعة فكان الأمير هنري وسيما ماهرا في استخدام الأسلحة كريما، حتى ذاعت شهرته في جميع أنحاء العالم وسعدت إليانور بذلك، لكن كان له صفات سيئة مثل التهور والطيش واللامبالاة لذلك ضاعت حسناته أمام سيئاته[3].

وتذكر الوثائق التاريخية أن الملك هنري الثاني أصر على خدمة ابنه هنري بنفسه خلال المأدبة التي أقامها له عام 1170م احتفالا بتتويجه المستقبلي ملكا على انجلترا، وقد علق على ذلك قائلا: "إنه لمن الغريب جدا رؤية ملك يخدم على منضدة"، فرد الملك الشاب على والده قائلا "لكن ليس غريبا رؤية ابن كونت يخدم ابن ملك"[4].

---

(1) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص497-498، 501، 502، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص267-270،
Meade, Eleanor, P. 257 – 259, Owen, Eleanor, P. 63.

(2) Meade, Eleanor, P. 259.

(3) Meade, Eleanor, PP. 260 – 261, Dismond, Eleanor, P. 122.

(4) De Nugis curialium, P. 179, Meade, Eleanor, P. 263.

وصف والترماب الابن بأنه حقير وحاد الطبع كما وصفه مؤرخ آخر بأنه متحرر ومبذر ومسرف بحماقة.

أما ريتشارد الابن المفضل لدى إليانور فإنه كان أكثر وسامة من أخيه هنري بالإضافة إلى مهاراته الرياضية وفروسيته الأمر الذي جعل أخاه هنري يحقد عليه خاصة بعد تفضيل إليانور له لأنه كان يتصف بكل الصفات التي كانت إليانور تبحث عنها فهو محارب عظيم وفارس نبيل وسيم الشكل شاعر وموسيقار على درجة عالية من الثقافة التي استمدها من خلال والدته وأخته ماري فقد تعلم ريتشارد كيف يحظى بإعجاب ورضا النساء وكيف ينظم شعرا رقيقا فيمدحها فيه فقد نشأ وتربى في أكوتين وتحدث لهجتها بقدر الإمكان[1].

أما جيفري فلم يحظ بحب أمه وأبيه ورغم أنه لم يكن وسيما مثل باقي إخوته إلا أنه كان يتصف بالذكاء والمهارة الشديدة في الفروسية لكنه كان أقل قدرة في الحصول على البطولات عن أخيه هنري، إلا أنه كما وصفه جيرالد الويلزي بقوله "أنه قناص بالكلمات، ناعم فصيح قادر على الإقناع ولديه القدرة على إذابة الأشياء الغير قابلة للذوبان منافق في كل شئ"[2].

وبعد أن بلغ أبناء إليانور سن النضج بدأوا يتطلعون إلى أخذ أماكنهم الشرعية في المملكة كما حددها لهم مؤتمر مونت ميرال لكنهم رأوا أن والدهم أجبرهم على البقاء كأتباع عاجزين.

اعتقد الملك هنري أنه من الأفضل تشريفهم بالألقاب فقط لكنه ما زال ينظر إليهم على أنهم أطفال ولذلك لم يسمح لهم بتولي أي سلطة وجمع جميع السلطات في يده[3].

كان من صفات الملك التمسك بكل ما يملك، في الوقت الذي لم يقبل حقيقة أن أبناءه قد وصلوا سن النضج ورغم أنه من الصعب فهم ما يدور في ذهن الملك هنري فإننا نتذكر أنه خطط للحروب وقاد الجيوش وهو في عمر ابنه الأكبر كما أن والده جيفري منحه دوقية نورمنديا لكنه كان ينظر إلى أبنائه على إنهم طائشون، فهنري الشاب قد رفع إلى مكانه أعلى في وقت قصير وبشكل لا يتوقعه أحد، لكن ليس من حقه أن يتوقع أكثر من ذلك، والذي أدهش الملك هنري أن ابنه توقع أن يتنازل له والده عن عرش انجلترا وأيده في ذلك آخرون وحذروا الملك من نمو عداوة بينه وبين ابنه لأنه سلبه حق قد منحه إياه فهو رغم تتويجه ملكا على انجلترا إلا أنه لا يستطيع أن يحكم أو يتولى أي سلطة أو يحصل على أي ممتلكات[4].

إن السبب الآخر الذي جعل هنري يجد صعوبة في ترك السلطة لأبنائه كان يتمثل في إنه هو نفسه قد تم تدريبه بعناية على نظم الملك منذ الولادة وكان معتادا لمدة طويلة أن يكون محور الانتباه والاهتمام كما أن إليانور كانت تعلم أن أبناءها لم ينضجوا بدرجة كافية، لكن في نفس الوقت كانت تفهم مدى نفاد صبرهم ومدى استعجالهم لتولي مناصبهم المحرومين منها فقد كانت تشعر بنفس شعورهم ورغم أن طموحاتهم فاقت قدراتهم في ذلك لكن كان هناك استياء واضح كان ينمو بسرعة لدى الأبناء تجاه والدهم.

(1) Meade, Eleanor, P. 263, Dismond, Eleanor, P. 123.
(2) The Autobiography of Giraldus Cambrenses, P. 177.
(3) Meade, Eleanor, P. 264.
(4) Jordan Fantosme Metrical Chronicle. Edited by Richard Howlett, Rolls Series 82, Vol 3, P. 203.

اعتقدت إليانور وتوقعت أنه لن يكون هناك سلام في الإمبراطورية حتى يقلدهم الملك مناصبهم ويسمح لهم بممارسة سلطتهم بالقوة لأنها كانت تعلم أنه لن يسمح لأي عضو من عائلته بممارسة أي سلطة[1].

أثناء الاحتفال ببداية عام 1172م استدعى هنري إليانور وابناها ريتشارد وجيفري للاحتفال بعيد الميلاد معه في مدينة شينون[2] Chinon لكن سرعان ما تحولت تلك المناسبة إلى شجار عائلي فرغم أن ريتشارد وزوجته إليانور على حد قول المؤرخين ظلوا يتسارعوا على ابنهم الغائب الذي كان في الثانية عشرة من عمره ويطلب ميراثه وظل يبحث عن مكان له داخل المملكة، فهو من وجهة نظره لا يقل عن إخوته ريتشارد وجيفري اللذان مارسا سلطة فعلية في دوقياتهم فهو يريد أن يصبح ملكا على انجلترا وهو ما زال شابا ولكنه انتابه الملل من طلباته المتكررة ولوم أبيه على هذه المطالب.

انتهزت إليانور تواجدها مع الملك هنري وحاولت إقناعه بتلبية رغبة ابنه الأمير هنري وحسنت صورته عند أبيه رغم أن الابن لم يتحمل المسئولية وإنه لم ينفذ تعليمات والده في التدريب على مهام المنصب، بل إنه كان يسأم من تنفيذ أي أعمال يكلفه بها والده فقد كان يفضل وقته مع الفرسان في المبارزات والمسابقات في جميع أنحاء أوروبا.

لم تنكر إليانور أن الملك الشاب كان ينفق ببذخ شديد لكنها ما زالت تدافع عنه فقد رأت أن من حقه أن يفعل ما يشاء لأنه شاب فهي نفسها شعرت بنفس شعوره عندما كانت في عمره.

تأكد الملك هنري الثاني بأن التحول الغامض في شخصية ابنه هنري كان بسبب والدته التي أفسدته خلال زياراته لها في محاكم الحب التي أقامتها في بواتييه فملأت رأسه برومانسيات وأفكار غير واقعية عن الفرسان الرحالة والنساء الفاتنات[3].

فالحياة الواقعية من وجهة نظر الملك هنري الثاني لم تكن فقط بطولات أو محاكم حب بل كانت اتفاقات ومعاهدات ومحاكم قضائية وقصص البطولات التي عشقها الملك الشاب والتي كان والده ينظر إليها على أنها مضيعة للوقت وكانت مثل نظرته إلى الشعراء الجائلين، قد اعتبر ذلك انحرافا لذلك منع إقامة البطولات في انجلترا وشعر الآن بالندم لأنه لم يعممه في كل أرجاء المملكة، فقد وجد أن ثقافة الجنوب قد أفسدت عقل ابنه واتهم في ذلك إليانور ومن تجمعوا حولها من نبلاء بوردو.

لذلك فقد أدرك الملك ضرورة اتخاذ موقف حاسم من زوجته بعد أن غض بصره عن نشاطها هذا سنوات طويلة.

اتضح بعد انتهاء احتفالات عيد الميلاد بداية إعلان الحرب بين الملك هنري وأبنائه وأن خطوط المعارك قد رسمت لكنه أخفق في فهم أن إليانور كانت تتسلح لهذا النزاع منذ فترة طويلة[4].

فبينما كان الشعراء المتجولون يغنون وسيداتها يصدرن الأحكام في محاكم الحب، كانت إليانور وأبناؤها يسعون إلى تكوين حلف كبير ينضم إليه عمها رالف دي فاي ومستشارون آخرون من النبلاء البوتفيين.

---

(1) Meade, Eleanor, PP. 264 – 265.
(2) شينيون: مدينة فرنسية تقع في إقليم اللوار جنوب غرب مدينة تورز وهي مبنية على صخرة عالية. انظر: Moore, Encylopidia, P. 180.
(3) Meade, Eleanor, PP. 266 – 267.
(4) Meade, Eleanor, P. 267.

قام أبناء إليانور بتشجيعها على الاتصال بالملك لويس السابع للانضمام للحلف ضد الملك هنري، ورغم عدم اكتشاف المؤامرة ومدبريها، إلا أن اختلاف أهدافهم كانت سببا في عدم نجاحها.

كان هدف لويس كسر شوكة البلانتاجنت أما النبلاء الثائرين فكانوا يرغبون في الانتقام من سيدهم الأعلى المستبد بينما كان أبناء هنري يهدفون من وراء هذا التحالف الثورة على المستبد الذي حال بينهم وبين تحقيق رغباتهم(1).

أما إليانور فلم يكن من السهل فهم دوافعها، فهي التي عملت بجد كبير وتعاونت مع هنري من أجل بناء تلك الإمبراطورية ولابد وأنها أدركت وفهمت جيدا أن لويس كأبيه كان يخطط لتحطيم تلك الإمبراطورية التي اجتهدت لبنائها.

ربما تكمن دوافعها في رغبتها في إسقاط تلك الإمبراطورية على سيدها لأنها كانت مقتنعة بأن هناك وقت طويل حتى ينتقل الحكم إلى أبنائها فهي متأكدة من أن هنري لن يتنازل عنه طواعية ومع أن المؤرخين لم يمدوننا بأي تعليق عن تفكير إليانور إلا أنهم كانوا متفقين جميعا على أنها العقل المدبر لتلك الثورة والقائد الأعلى لها(2)، فقد أكد جيرفاس كانتربري بأن الانقلاب التام الذي حدث ضد هنري قد خطط ونفذ من قبل الملكة فقال عنها إنها "امرأة طائشة ذكية جدا ولدت من أصل نبيل، لكن طائش"(3)، أما المؤرخ المجهول للجيستا فيقول "بأن مدبري هذه الخيانة الشنيعة كانوا لويس ملك فرنسا، وإليانور ملكة انجلترا، ورالف دي فاي"(4). بينما أشار وليام أوف نيوبيره إلى تلك الثورة فقال بعد أن وصل الملك الشاب إلى سن الرجولة "همس في أذنه بعض الأشخاص بأنه يحق له الآن الحكم بمفرده"(5).

وذكر رالف من دسيتو في كتابه صورة التاريخ قائلا "بينما كان الملك هنري الثاني غائبا في أيرلنده، بدأ رالف دي فاي وهو عم الملكة إليانور في خرق عقل الملك الشاب وإبعاده عن أبيه، وقد قيل كان هذا بناء على نصيحة من الملكة إليانور، وقالا أنه من الواضع إنه من غير اللائق أن تكون ملكا ولا تمارس حكم المملكة"(6).

وقد ذكر المؤرخون بأن إليانور تبنت كراهية أبنائها لأبيهم وحرضتهم على التمرد ودعمتهم في مشاعرهم تجاه والدهم.

اتخذت إليانور وابنها ريتشارد في أعقاب عيد الميلاد هذه الفترة للترقب والانتظار لاختيار الوقت المناسب لإعلان الثورة، أما الملك هنري فقد قام بعدة خطوات لاستعادة السيطرة على وريثه وحتى يقضي على أي مخطط تقوم به إليانور وأبناؤها(7).

لذلك قام الملك هنري بعزل ابنه عن إليانور ومحكمتها كما أبعده عن أي أشخاص يمكن أن يكون لهم أي تأثير سلبي عليه، كما قام بطرد أصدقاء ابنه المفضلين والذين كانوا يشاركونه في

(1) Meade, Eleanor PP. 267 – 268, Dismond, Eleanor, P. 128.
(2) Meade, Eleanor, P. 268, Alison, Eleanor, P. 197.
(3) Gervase of Canterbury, opera Historica, Vol. 1, P. 242, Meade, Eleanor, P. 268.
(4) Gesta Regis Henrici secundi, Edited by William stubbs. 2 Vols, Rolls series 49, vol.1, P. 242.
(5) Historia Rerum, Vol 1, P. 171.
(6) الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص503.
(7) Meade, Eleanor, P. 268.

البطولات كما أنه حاول تعليم ابنه أن مستقبله الحقيقي يكمن في مرافقة والده وتعلم أساليب الحكم منه[1].

أخذ الملك هنري ابنه معه إلى أوفيرن Auvergne في بداية 1173م حيث عقد اجتماعا مهما مع الكونت هومبيرت الثالث كونت مورين Humbert III Count Morian خطب فيه ابنته إلى ابنه حنا والذي لم يحصل على أي شئ من ممتلكات والده بمقتضى معاهدة مونت ميرال لذلك سعى والده إلى تزويجه من ابنة كونت مورين وبمقتضى هذا الزواج أصبح حنا وريثا لهومبيرت وحصل على أربعة قلاع من أملاكه[2].

راقب ريتشارد المفاوضات بين والده وهومبيرت ببعض الغيرة وبعد أن سلم الكونت هومبيرت ابنته الرضيعة إلى هنري تحرك الجميع شمالا إلى ليموج، حيث استدعى الملك إليانور وأبنائه للاحتفال بخطبة حنا وخلال إقامة الملك هنري في ليموج والتي استمرت لمدة أسبوع كامل من 21 فبراير حتى 28 فبراير استمع هنري لشكاوى النبلاء وللمرة الأولى استطاع أن يثبت قدماه في مقاطعات إليانور بعد عدة سنوات كما استطاع أن يسيطر على الأمور كما لو كانت زوجته غير موجودة، كما استدعى بارونات أكوتين وأعلن تحالفه الجديد مع كونت مورين بعد موافقة الكونت هومبيرت على مشروع الخطبة شعر بالقلق لأن الملك هنري لم يمنح ابنه حنا أية ممتلكات مثل إخوته، لذلك هدأه الملك هنري وطمأنه بأنه سوف يمنحه ثلاثة قلاع وهما شينون ولندن وميرابو Chinon, London, Mirebeau.

إن هذا القرار المرتجل الذي اتخذه الملك هنري قد تجاهل بشكل أساسي الحقيقة التي تنص على أن تلك القلاع من أملاك ابنه هنري وهي من حقه فقط، ونتيجة لذلك ثار الملك الصغير واندفع محتجا على قرار والده ورفض بشكل قاطع التنازل عن قلاعه إلى أخيه حنا حاضرا أو مستقبلا، ثم بدأ يتذكر ظلم والده له وكيف حرمه من كل شئ كان يحبه حتى أصدقائه طردهم وحرمه منهم[3]، ورغم أن إليانور وريتشارد وجيفري دعموه في الرفض على التصديق على قرار والده والتنازل عن قلاعه إلا أن الملك هنري الثاني طمأن الكونت هومبيرت وأكد له أن قراره هو الذي سيسود وأن كلمته بمثابة قانون في العائلة.

وسط هذا الشجار رأى كونت تولوز أن الفرصة متاحة لتصفية حسابه مع إليانور، فتحدث بشكل سري إلى الملك هنري محذرا له من أنه يجب أن يراقب أبناءه جيدا لأن أمهم أفسدت عقولهم كما حذره من المؤامرة التي دبرت ضده.

شك الملك هنري في كلام كونت تولوز، لأنه لا يصدق وجود تابع مخلص للملك في أكوتين، فلم يصدق خيانة إليانور له، خاصة وأنه على يقين من كراهية كونت تولوز لها، كما أن جواسيس الملك هنري لم يخبروه بتلك المؤامرة ولم تصل إليه أي تقارير عن الغدر والخيانة. في نفس الوقت لم يتجاهل هنري تحذيرات ريموند له، بل إنه حاول التحقق من صدقها، لذلك قرر الملك وضع ابنه الملك الصغير تحت الرقابة الشديدة، فقرر اصطحابه معه ورفض السماح له بالعودة مع والدته وأخويه إلى بواتييه الذين توجهوا إليها دونه بينما تحركت حاشية الملك هنري شمالا حيث

(1) Meade, Eleanor, P. 268, Alison, Eleanor, P. 198.

(2) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص273، رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص506،
Meade, Eleanor, P. 269, Kelly, Eleanor, PP. 179 – 180, Dismond, Eleanor, PP. 129 – 130 – Alison, Eleanor, PP. 194 – 198, Owen, Eleanor, P. 67.

(3) Meade, Eleanor, P. 270, Kelly, Eleanor, PP. 179 – 180, Owen, Eleanor, P. 67, Dismond, Eleanor, P. 130, Alison, Eleanor, P. 195.

خضع هنري الصغير للرقابة فلم يسمح له والده بالابتعاد عنه بل أنه أصر على أن ينام معه في الغرفة[1].

وصل الملك وحاشيته بعد رحلة شاقة إلى شينون في الخامس من مارس عام 1173م وفي تلك الليلة نام الملك هنري بعمق أكثر من عادته وفي الصباح التالي استيقظ ليجد أن ابنه قد هرب وعندما علم الملك بأن ابنه قد غادر المملكة واتجه إلى باريس للاحتماء بالملك لويس السابع وعلم أن الهروب كان مخططا له بدقة فالخيول كانت قد أرسلت إلى الابن على مراحل حتى لا يجد أي صعوبة في الهرب، لكن الشخص الذي رتب ووضع كل هذه التفاصيل ظل مجهولا رغم أن الراجح أن إليانور هي المسئولة عن ذلك[2].

أرسل الملك هنري عدة أساقفة إلى الملك لويس كابيه يطلب منه إعادة ابنه ووعده بأنه سوف يحل له جميع مشاكله وأقسم بأنه سوف يأخذ بنصيحة الملك لويس في تحقيق رغبات ابنه.

رد لويس على الأساقفة ساخرا منهم فسألهم من الذي أرسل هذه الرسالة فأجابوه هنري الثاني ملك انجلترا، فرد لويس قائلا: "هذا غير صحيح فملك انجلترا معي هنا وهو لم يرسل أي رسالة عن طريقك. لكن إذا كنت لا تزال تدعو والده ملك انجلترا فإن هذا كان في الماضي، فالكل يعرف أنه لم يعد ملكا، بالرغم من أنه قد يتصرف كالملك فالكل يعرف بأنه ترك مملكته إلى ابنه"[3].

لقد كان واضحا بالنسبة لهنري أن الوقت قد حان لترتيب شئونه وأخذ احتياطاته، فإذا كان وريثه قد هزأ به فإنه ما زال هناك وقتا باقيا من وجهة نظره لتجميع باقي أبنائه، لكن سرعان ما اكتشف خطأه في الحال، فالملك الشاب هنري توجه بناء على نصيحة الملك لويس إلى أكوتين سرا حيث التف حوله إخوته الشباب ريتشارد وجيفري وقامت والدتهم بتحريضهم على مواصلة التمرد والعودة إلى فرنسا[4].

وحتى الآن لم يتعامل الملك هنري بشدة وجدية مع المتمردين فالثورة من وجهة نظره كانت بمثابة تصرف صبياني قام به أولاده لكنه اتجه إلى العقل المدبر فبدأ بتهديد إليانور ومن خلال رئيس أساقفة روين ناشدها إنهاء اللعبة وإيقاف حركة التمرد مؤكدا لها أنها إذا أعادت الأولاد إليه فسيغفر لها. كما ناشدها رئيس الأساقفة بعودتها هي وأبنائها إلى زوجها قبل أن تسير الأمور إلى الأسوأ.

وضع رئيس الأساقفة أمام عيني الملكة شبح العقاب الشديد فقال لها "إما أن تعودي إلى زوجك أو سنضطر إلى وضعك تحت العقاب الكنسي، بالرغم من أننا نقول ذلك لك بشكل غير راضي فإنك إذا لم تعودي إلى عقلك وإحساسك فإننا سنفعل ذلك بالحزن والدموع".

لم تلتفت إليانور إلى وعود زوجها، وتهديدات رئيس الأساقفة فبحلول عيد الفصح عام 1173م، وبهروب الملك الشاب أصبحت الإشارة إلى انتفاضة واسعة الانتشار ضد الملك هنري على وشك الوقوع فكل بارون كان لديه شكوى ضده رأى أن الوقت قد حان للثورة عليه، فالاتحاد الذي تكون بشكل أساسي من الملكة إليانور وأبنائها وزوجها السابق، اتسع ليشمل أفرادا آخرين

(1) Meade, Eleanor, P. 270, Kelly, Eleanor, PP. 179 – 180, Owen, Eleanor, P. 67, Alison, Eleanor, P. 199.
(2) Meade, Eleanor, PP. 270 – 271, Alison, Eleanor, P. 200.
(3) William of New burgh, Historia, Vol1, P. 170, Dismond, Eleanor, P. 130.
(4) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص506،
Owen, Eleanor, P. 68, Kelly, Eleanor, P. 180, Alison, Eleanor, P. 200, Owen, meade, Eleanor, P. 271, Dismond, Eleanor, P. 130.

كانوا يكنون الحقد والكراهية للملك هنري حيث انضم إلى الثورة كل من كونت شامبني والفلاندرز، وبارونات أكوتين وبريتاني ولوردات من انجلترا كانوا متلهفين للهروب من الضرائب الباهظة التي فرضها عليهم الملك هنري[1].

وفي أقصى الشمال ساند الملك وليام عاهل اسكتلندة ابن إليانور هنري ودعمه وفي أنجو وبريتاني ومين تم إنكار سلطة الملك هنري ولم يبق سوى نورمنديا وهي المنطقة الوحيدة الخاضعة والمطيعة لسيدها الأعلى كذلك كل أبناء هنري انقلبوا عليه[2] ما عدا ابنه الأصغر حنا الذي ظل بجانب والده[3].

بدأت الثورة تشتد قبل نهاية يونيو عام 1173م وفي التاسع والعشرين من نفس الشهر غزا الكونت فيليب كونت الفلاندرز نورمنديا واستولى على قلعة أومال Aumale الواقعة شمال روين، هذا في الوقت الذي أخذ فيه أبناء إليانور في تخريب أراضي والدهم ثم شرعوا في حصار قلعة درنكورت Drincourt وهي قلعة جيدة التحصين تقع على حدود فرنسا[4]. وفي منتصف صيف 1173م شعرت إليانور بأن أيام هنري على العرش قد بدأت في العد التنازلي.

تصدي الملك هنري لحركة التمرد وقضائه عليها :

أصاب الملك هنري الذهول مما يحدث خاصة بعد أن خانه الإيرل روبرت وهو أكثر أتباعه الموالين له، حيث انضم إلى معسكر الملك الشاب كما استعد كونت الفلاندرز بأسطول قوي لغزو انجلترا لذلك قام الملك هنري الثاني بإعداد جيش قوي من أتباعه الموالين وبشراء عدد كبير من الجنود المرتزقة، وفيما بين 1، 19 أغسطس أسرع بجيشه المكون من عشرة آلاف جندي، واتجه إلى نورمنديا[5]، ومنها إلى بريتاني بسرعة فائقة مما أدى إلى خوف إليانور من نجاح هنري في إخماد حركات التمرد الواحدة تلو الأخرى.

وبحلول خريف عام 1173م قرر لويس كابيه الفرار والعودة إلى فرنسا خاصة بعد عودة كونت فلاندرز إلى بلاده وعلمه بالجيش الذي كونه هنري وتوعده للملك لويس بالقضاء عليه إذ اشتبك معه داخل حدود نورمنديا، وأدركت إليانور أنه لا يمكن الاعتماد على الملك لويس في أي حرب أو مغامرة عسكرية لذلك رأت أنه لابد من عقد الهدنة حيث اجتمع الملكان في الخامس والعشرين من سبتمبر عام 1173م تحت شجرة الدردار في فيكسين وهو المكان التقليدي والمعتاد لاجتماعها وهناك واجه الأبناء والدهم واستمعوا بنفاذ صبر إلى عروضه للعلاوات والقلاع التي سيمنحها لهم وبسرعة أدركوا أن موقفهم لن يتغير وأن والدهم لن يسمح لهم بأي سلطة مستقبلا مما جعلهم يرفضون عروضه التي اعتبروها مجرد رشاوى للتنازل عن ثورتهم وحذروه في المرة القادمة بأنهم سوف يهاجمون انجلترا نفسها وبعدها ركب الأبناء مع لويس عائدين إلى باريس.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 272, Kelly, Eleanor, P. 182, Alison, Eleanor, P. 202, Dismond, Eleanor, P. 132.

(2) Meade, Eleanor, P. 272, Kelly, Eleanor, P. 182, Alison, Eleanor, P. 203.

(3) Gervase of Cunterbury, opera Historica, Vol, 1, P. 243.

(4) Roger of Hovedon, Annalls, Vol, 1, P. 368.
رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص508-509.
Meade, Eleanor, P. 273, Alison, Eleanor, P. 204, Owen, Eleanor, P. 70.

(5) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص275-276، رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص509،
Meade, Eleanor, P. 273, Alison, Eleanor, P. 204.

انتقام الملك هنري من الملكة إليانور :

جلست إليانور في قصرها في بواتييه وقد سيطر عليها الخوف والقلق في سبتمبر من عام 1173م فأبنائها ربما كانوا آمنين في بلاط آل كابيه لكن مثل هذا الأمان لم تشعر به إليانور بل شعرت بالخطر خاصة بعد وصول تقارير مفادها تحرك جيش زوجها بشكل منظم وبسرعة فائقة تجاه الجنوب.

لقد سار هنري وجيشه بسرعة فائقة وهو ملتهف للانقضاض على بواتييه ليضع يده على الأصل الرئيسي لكل ما يحدث فبدأ بتورين وشمال بواتييه فاستولى على القلاع وهدمها وحرق مزارع العنب وأتلف المحاصيل ولم يمر يوم دون رؤية لاجئين مرعوبين أرادوا الأمان فاتجهوا للاحتماء وراء أسوار بواتييه[1].

وقد روى هؤلاء اللاجئون قصصا مخيفة عن الأماكن التي اجتاحها هنري وألقى بأهلها في السجون ورغم انتصاراته هذه، فقد تباطئت إليانور في الهروب من مدينتها، ويمكن تفسير ذلك في أن شمال بواتييه كان يعاني من دمار وتخريب هنري له، لذلك لم ترغب إليانور في ترك مقاطعتها ليدمرها زوجها وهي أيضا لابد وأن واجهت صعوبات بالغة لتنفيذ فكرة الهروب، فإذا هربت فهذا يعني أنها وهي في الحادية والخمسين من عمرها سوف تضطر لترك مقاطعتها والتوجه إلى لويس كابيه طلبا للحماية.

على أية حال لم يكن أمامها أي حل آخر سوى الهروب إلى فرنسا وعندما قررت ذلك تبين أن الفرصة ضاعت وهذا يتضح في الأسلوب الذي غادرت به إليانور مقاطعتها، فلم تأخذ معها أي ملابس أو خزائن أو خادمات بل إنها تنكرت في ثوب فارس وتم مرافقتها بواسطة بضعة من فرسان عائلتها[2]، وعلى طول الطريق في شمال بواتييه تعرضت الملكة وفرقتها إلى مضايقات من قبل أتباعها ولسوء الحظ أن البعض من البونفيين ما زالوا موالين لهنري بلاتتاجنت فقد استطاع هؤلاء الأتباع اغتنام الفرصة فقاموا بأسر الملكة إليانور وبسرعة شديدة ولم يستطع أي مؤرخ أن يصل إلى الحقائق ولا تاريخ ولا مكان ولا اسم من أسرها[3]. والمؤرخ الوحيد الذي ذكر الحادثة كان جيرفاس أوف كانتربري الذي سجل مفاجأته وهي القبض على الملكة المشهورة في أوروبا في ملابس الرجال[4].

رأى مؤرخو القرن العشرين أن أربعة بارونات من بوتيفان Poitevin خانوا الملكة وهم الذين تسلموا الجائزة من الملك هنري في وقت لاحق، وإذا كان ذلك حقيقي فلابد أن هؤلاء البارونات معروفين للملكة ولا شك أنهم قد أقسموا يمين التبعية لها، وقضوا وقتهم في القاعة العظيمة في قصرها يستمعون إلى الشعراء المتجولين، وينالون من كرمها.

مهما كان أسلوب المواجهة بين هؤلاء الرجال وبين رجال وخيول الملكة فلا شك أنهم سقطوا على الأرض بينما مرافقوها دافعوا عنها، على أية حال فإن الخيانة قد حدثت بسرية وكفاءة عالية ولم يعلن الملك أي معلومات لأفراد حاشيته ولا شك أن الملك هنري عامل زوجته بقسوة فوضعها في قلعة بعيدة، ربما تكون قلعة شينون Chinon لكن لعدة شهور مكانها ظل لغزا لأبنائها وأتباعها ولم يعلم به أحد.

(1) Meade, Eleanor, PP. 273 – 274, Kelly, Eleanor, P. 189, Owen, Eleanor, P. 69.
(2) Meade, Eleanor, PP. 273 – 274, Kelly, Eleanor, P. 189, Dismond, Eleanor, P. 133, Owen, Eleanor, P. 69, Alison, Eleanor, P. 202.
(3) Meade, Eleanor, P. 274, Kelly, Eleanor, P. 189, Owen Eleanor, P. 69, Alison, Eleanor, P. 202.
(4) Opeara Histoire, P. 274, Owen, Eleanor, P. 69.

لقد اختفت إليانور كما لو كانت قد ابتلعتها الأشباح فلابد أنها قد واجهت زوجها. هل اتهمها بالخيانة. هل اندفع في موجة غضب عارمة كعادته عند غضبه، فالإجابة على مثل هذه الأسئلة موضع شك في سياق التاريخ[1].

وصل هنري بنفسه إلى بواتييه يوم الأحد الموافق 12 مايو عام 1174م لجمع أفراد العائلة المالكة والذين كانوا أعضاء في محكمة الحب التي أنشأتها إليانور ومن بين أفراد العائلة المالكة وكانت الملكة مارجريت زوجة ابنه هنري والأميرة أليس، أخته وإيما من أنجو وكونستانس من بريتاني خطيبة جيفري وأليس من مورين خطيبة حنا والأميرة جوانا ابنة إليانور[2].

بعد ذلك مضى هنري في إخلاء قصر بواتييه من الشعراء والمغنيين وغيرهم، كما قام بجمع الثوار وقيدهم في سلاسل استعدادا لشحنهم وإرسالهم إلى السجون في إنجلترا وقام بانتقاء الأشخاص الذين وثق فيهم وجعلهم مسئولون عن الدوقية.

ظلت إليانور وهي في سجنها خلال شتاء عام 1174م لديها الأمل في أن يتحرك أبناؤها وحلفاؤهم بأسطولهم وجيشهم للإسراع لإنقاذها فالثورة من وجهة نظرها لم تنته بعد، ومازالت هناك فرصة لإنقاذها إما بواسطة أبنائها أو ملك فرنسا أو السجان المتعاطف معها[3]، لكن خاب ظنها ففي يوليو عام 1174م حملت إليانور تحت حراسة مشددة إلى ميناء بارفيلور Bardfleur حيث كان هناك عددا كبيرا من السفن التي تجمعت لنقل الثوار والأسرى إلى إنجلترا[4].

أبحر الملك هنري وأسطوله وسط عاصفة شديدة ولما زادت العاصفة واشتدت الأمواج وقف الملك هنري على ظهر سفينته في صباح يوم الإثنين الثامن من يوليو عام 1174م وتحدث موجها كلامه إلى الله تعالى فقال:

"سيدي إذا كان السلم بين رجال الدين والشعب هو غايتي، وإذا كان رب السموات قد قضى باستعادة السلم عندما أصل عندها يمكن برحمته أن يمنحني رسولا سالما لكن إذا كان معاديا وإذا كان قد قرر زيارة المملكة بالعصا، ليكن حظي بعدم الوصول مطلقا إلى سواحل بلادي".

في مساء ذلك اليوم وصل الملك وأسطوله إلى ساوث هامبتون وقام مباشرة بتوزيع أسراه على السجون، فأرسل الملكة مارجريت والشابات الأخريات إلى ديفيزس Devizes أما سجنائه المقيدون فتم إرسالهم إلى بورشسير والسجناء الأقل خطورة تم إرسالهم إلى وينشستر Winchester[5].

ولم يتم سجن إليانور في وينشتسر ولا في لندن ولا اكسفورد وإنما سجنت في القلعة الحصينة في سالسبوري Salisbury.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 275, Alison, Eleanor, P. 210

(2) روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص279-280، رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص514،
Meade, Eleanor, P. 275, Kelly, Eleanor, PP. 183 – 184.

(3) Meade, Eleanor, P. 275, Kelly, Eleanor, PP. 183 – 184.

(4) Roger of Hovdon, Annals, Vol, 1, P. 380, Meade, Eleanor, P. 276, Kelly, Eleanor, P. 184, Dismond, Eleanor, P. 137, Owen ,Eleanor, P. 69.

(5) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، الموسوعة الشامية، ج30، ص514-515، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص280،
Meade, Eleanor, P. 277., Kelly, Eleanor, PP. 184 – 185, Owen, Eleanor, PP. 69 – 72.

وفي صباح اليوم التالي قام هنري بالحج إلى كنيسة كانتربري وقبل وصوله إلى البلدة بثلاثة أميال، ترجل ومشى باقي الطريق حافي القدمين حيث خلع ثياب الملكية وارتدى ثياب حاج تائب متضرع وذهب في يوم الجمعة الموافق 25 يوليو إلى شق طريقه لقبر الشهيد بيكيت وسجد أمامه مادا ذراعيه نحو الأمام ومكث هناك وقتا طويلا وهو يتضرع ويصلي خلال هذا الوقت وأمام أسقف لندن الذي كان يعظ الناس وهو يدعو الرب ليكون شاهدا عليه أنه لم يأمر ولم يرغب ولم يتآمر على قتل رئيس الأساقفة بيكيت لكن بما أن الثوار تأثروا بكلامه الذي أقره فطلب من الأساقفة أن يخلوه من ذنبه ووضع جسده للقصاص الصارم بالضرب بالعصا وقد تلقى خمس ضربات من كل واحد من الرهبان، بعدها نهض ووضع ثيابه عليه وقدم التميجد للشهيد سامي القدر بهدايا ثمينة[1].

وفي مساء يوم الأربعاء التالي وبينما كان الملك هنري يتناول قسطا من الراحة في ويست منستر بعد رحلة الحج الشاقة والتي قام بها جاءته أخبار سارة تفيد بالقبض على الملك وليام عاهل اسكتلندة وباروناته[2] وكان الملك لويس ملك فرنسا وابنه الملك الشاب وفليب كونت فلاندرز ومعهم ملك اسكتلندة قد جمعوا القوات من جميع المناطق فتوفر لديهم جيش كبير وحاصروا مدينة روين في 22 يوليو عام 1174م بهدف الاستيلاء عليها لكن سكانها استطاعوا مقاومتهم بشجاعة مما أرغمهم على الفرار، وقد سعد الملك هنري كثيرا بهذه الأخبار وشكر الله ثم القديس توماس[3].

وخلال الشهرين التاليين نجح هنري في إخماد نيران التمرد في انجلترا ثم بعد ذلك في باقي أنحاء ممتلكاته ثم اجتمع في التاسع والعشرين من سبتمبر مع أبنائه الثوار في مونتلويس Montlouis الواقعة بين تور Tours[4] وامبروا Amboise وذلك لوضع شروط السلام.

وفي هذا الاجتماع قام الملك هنري بإعطاء ابنه الأكبر الملك الشاب قلعتان في نورمنديا ومنحة خمسة عشر ألف قطعة ذهبية من الأموال كل عام كما منح ابنه ريتشارد نصف دخل مقاطعة بواتييه وقلعتين بها أما جيفري فحصل على نصف دخل مقاطعة بريتاني وبهذا عاد السلام والأمن بين هنري وأبنائه[5].

بعد أن نجح في القضاء على ثورتهم وامتصاص غضبهم غفر لهم تآمرهم عليه مبررا ذلك بأن خيانتهم له ترجع إلى طيشهم وعدم نضجهم وأن اللوم الأكبر يقع على من قام بتحريضهم لذلك فإن تسامحه مع أبنائه لم يمتد ليشمل زوجته، فقد ظلت الملكة إليانور سجينة في قلعة سالبسوري ورغم عدم وجود أدلة على أن الملك قد أساء معاملتها وقام بتعذيبها إلا أنه في نفس الوقت ليس هناك شك في أنها ظلت سجينة مدة طويلة ووضعت تحت حراسة مشددة من قبل رجال الملك، وخابت آمالها وطموحاتها وهي التي كانت ذات مكانة مرموقة لكنها الآن انعزلت عن أطفالها

(1) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، الموسوعة الشامية، ج30، ص514-515، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص280-281،
Meade, Eleanor, PP. 276 – 277, Kelly, Eleanor, PP. 184 – 485, Owen, Eleanor, PP. 69 – 72.

(2) Meade, Eleanor, P. 278, Alison, Eleanr, P. 208.

(3) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، الموسوعة الشامية، ج30، ص524، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص280-281.

(4) تور: فرنسية تقع في نطاق حوض نهر اللوار، وتنحصر أراضيها بين نهر اللوار ونهر شير Cher على بعد مائتين وستة كيلو مترات جنوب غرب باريس، وهي من أهم المدن الزراعية والتجارية.
Moore, op. cit, P. 791.

(5) رالف اوف دسيتو: صورة التاريخ، الموسوعة الشامية، ج30، ص528، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص283-284،
Meade, Eleanor, P. 278, Owen, Eleanor, P. 70, Alison, Eleanor, P. 209.

ومقاطعاتها وانفصلت عن العالم الخارجي واضطرت إلى الاعتماد على مرافقيها لمعرفة الأخبار الخارجية[1].

إن الطريقة التي اتبعها في التخلص من إليانور والانتقام منها اتسمت بالوحشية خاصة وأنه كان يدرك جيدا مدى كراهية إليانور لحياة العزلة والانفصال عن العالم الخارجي وحبها الشديد للحياة الاجتماعية ومدى احتياجها للتواجد بين الناس، لذلك ما قام به هنري تجاه إليانور كان بمثابة موت بطئ بالنسبة لها.

قام أتباع إليانور في أكوتين بالتنديد على حبس دوقيتهم وقاموا برثائها في قصائد خاصة (انظر الوثيقة رقم 4).

جلست إليانور في قلعة سالسبوري تتذكر ماضيها وتفكر فيما كان منذ تركت ذلك الشاب الذي أحبته بجنون وصممت على الزواج منه لكنها الآن كرهته بشدة كما فكرت في أبنائها وبناتها والذين كانت متلهفة لإنجابهم فلم تكن الإناث مصدر إزعاج لها ولكن الذكور كانوا بمثابة أشواك في ظهرها فبرغم وسامة وسحر الملك هنري الشاب إلا أنها لا تستطيع أن تنكر غباءه كما أن فصاحة جيفري لم تتغلب على أنانيته لكن عند تفكيرها في ابنها المفضل ريتشارد لابد وأن ذلك أتاح لها الشعور بشئ من الراحة والهدوء في عزلتها فهو الابن الأكثر ثقافة وذكاء وشجاعة[2].

ومما لا شك فيه أن إليانور استخدمت كل الوسائل والخدع من أجل التحرر قبل أن تموت في منفاها، لكن كل محاولتها وحيلها في التحرر والهروب فشلت ولم يبق أمامها سوى الانتظار في خوف وشوق، فظلت تراقب الفصول والشهور وهي تمر وتنتظر أخبار أطفالها وتأمل في حركة تمرد وانقلاب يقوم به أبناؤها من أجل والدتهم.

أتيحت لإليانور فرصة كبيرة للهروب من سجنها في عام 1175م، فأحد مشاكل هنري كانت تتمثل في كيفية التخلص من إليانور دون أن يخسر دوقيتها التي كانت تمثل نصف ممتلكاته في القارة فبرغم أنه كان لديه أسباب قوية لتطليق إليانور لأنها كانت أكثر قرابة وصلة به من لويس كابيه زوجها السابق، إلا أنه كان يعلم جيدا أن الطلاق ليس الحل، لذلك فكر هنري في بدائل أخرى للتخلص منها دون خسارة أملاكها، وقد جاءته الفرصة عندما زار انجلترا الكاردينال هيوبير ليوتي Hough Pierleoni في نهاية أكتوبر عام 1175م والذي جاء لبحث بعض المشاكل مع الملك هنري[3] لكنه وجد نفسه يتسلم هدايا وهبات ملكية قيمة من الملك كان يهدف من ورائها رشوة الكاردينال حتى يقوم بإقناع الملكة إليانور بدخول دير فونتفريولت المشهور Fontevroult ليس كراهبة عادية لكن كرئيسة له، فقد انضم إلى ذلك الدير العديد من السيدات النبيلات والراهبات الشهيرات[4].

خلال تلك السنة انتشر الطاعون في انجلترا بشكل كبير مما أدى إلى وفاة أعداد كبيرة من السكان[5]، وربما كان ذلك دافعا لإليانور على قبول فكرة الملك هنري والانضمام إلى الدير والانخراط في سلك الرهبنة لكنها وعلى عكس المتوقع رفضت ذلك العرض واستعانت برئيس أساقفة روين الذي على الرغم من تحذيراته السابقة لها أثناء التمرد إلا أنه رأى أنها لا تصلح

(1) Meade, Eleanor, P. 278, Kelly, Eleanor, PP. 190 – 191.
(2) Meade, Eleanor, PP. 279 – 280.
(3) Meade, Eleanor, PP. 280 – 281, Kelly, Eleanor, P. 190, Dismond, Eleanor, P. 137, Alison, Eleanor, P. 216.
(4) Meade, Eleanor, P. 280, Alison, Eleanor, P. 216, Kelly, Eleanor, P. 190.
(5) Roger of Hovedon, Annalls, Vol, 1, P. 404.

للانخراط في سلك الرهبنة والحياة الدينية وربما يرجع رفض إليانور لعرض هنري إلى تمسكها بالأمل في إطلاق سراحها ففضلت أن تكون سجينة في قلعة سالسبوري عن أن تكون مجرد راهبة في دير فونتفريولت[1].

في يوليو عام 1176م سافرت جوانا ابنة إليانور إلى وينشستر قبل مغادرتها إلى صقلية للزواج من حاكمها الملك وليام[2].

وقد ذكرت السجلات التاريخية أنه من الممكن أن تكون جوانا قد توسطت لدى والدها للعفو عن إليانور وإطلاق سراحها بشكل مؤقت حتى يمكنها أن تقضي معها آخر أيامها في انجلترا، وعلاوة على ذلك فإنها رافقتها إلى سوث هامبتون South Hambton. هذه كانت المرة الأولى التي رأت فيها إليانور أحدا من أبنائها منذ عامين وربما بسبب اعتراض وامتعاض جوانا لحجز والدتها بدأوا يحسنوا من مستوى معيشتها تدريجيا بعد عودتها إلى سجنها مرة أخرى في سالسبوري في خريف تلك السنة[3].

توفيت روزاموند كلفورد عشيقة الملك هنري عام 1176م بعد فترة طويلة عاشتها كراهبة في أحد الأديرة، وبعد موتها تعرف الملك هنري على عاهرات كثيرة لكن ذلك لم يغضب إليانور فالشئ الوحيد الذي أثارها وأغضبها كثيرا هو علاقة الملك هنري بالأميرة أليس خطيبة ابنه ريتشارد والتي كانت قد نشأت وتربت في محكمة إليانور وأصبحت بحلول عام 1176م في السادسة عشر من عمرها، وبرغم أنها أصبحت في عمر يؤهلها للزواج من ريتشارد إلا أن الملك هنري يبدو أنه تجاهل خطوبتها من ابنه وأحضرها معه إلى انجلترا بعد أن أغلق محاكم الحب التي أنشأتها إليانور، وفي انجلترا انتشرت شائعات كثيرة حول علاقة الملك هنري بالأميرة أليس وكيف أنها أصبحت عشيقة للملك[4].

ذكر جيرالد الويلزي مؤرخ الحوليات والذي اشتغل بتدوين رذائل وأخطاء الملك هنري فقال "إن الملك عاش مع أليس بشكل واضح، وبصورة وقحة"[5].

لم تكن علاقة الملك هنري بأليس مستقرة والتي انتشرت بعدها شائعات كثيرة فقد قيل إنه يخطط لحرمان ابنيه الأكبر سنا من تولية الحكم وتعيين وريثه الأصغر سنا لأنه الوحيد الذي لم يتسمم عقله من والدته، وأنه قد خطط لتزويج أليس منه[6].

على أية حال فبحلول عام 1177م، وصلت أخبار هذه العلاقة إلى مسامع الملك لويس كابيه مما اضطره إلى التحقيق والتأكد من صحتها وعندما لم يصل الملك لويس إلى حل أو اتفاق مع هنري بخصوص زواج ابنته من ريتشارد استعان لويس بالبابا الكساندر Alexander ليؤكد زواجهما.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 281.
(2) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص524،
Dismond, Eleanor, P. 139, Alison, Eleanor, P. 218.
(3) Meade, Eleanor, P. 281, Kelly, Eleanor, P. 191, Owen, Eleanor, P. 73, Alison, Eleanor, P. 218.
(4) Meade, Eleanor, P. 282, Kelly, Eleanor, P. 192, Owen, Eleanor, P. 73, Alison, Eleanor, P. 215.
(5) The Autobigraphy of Giraldus, PP. 165 – 166.
(6) Meade, Eleanor, P. 282, Kelly, Eleanor, PP. 191 – 192.

بدأ لويس يشعر وهو في التاسعة والخمسين من عمره بدنو أجله لذلك قرر تتويج ابنه فيليب الذي كان في الرابعة عشر من عمره ملكا على فرنسا والذي عرف باسم فيليب أغسطس Philip Augustus.

وفي الخامس عشر من أغسطس عام 1179م استدعى لويس أتباعه إلى مدينة ريمز حيث قام لويس بتتويج ابنه في السادس عشر من أغسطس عام 1179م، وبعد أسابيع قليلة مرض فيليب مرضا شديدا، وتمنى الملك لويس شفائه ومن أجل ذلك ذهب إلى ضريح القديس توماس بيكيت من أجل الصلاة والدعاء للطفل بالشفاء، وعلى الفور أرسل رسلا إلى الملك هنري للاستئذان في زيارة الضريح المقدس في انجلترا وذلك ضمانا لحرية العودة فأجابه الملك الإنجليزي بالترحاب[1].

أثرت ازدواجية إليانور على الملك هنري رغم أنه لم يعترف بذلك فقد شعر بأنه لا يستطيع أن يملك إرادته التي هزأت بها إليانور أو ثقته التي فقدت لذلك أصبح هنري بشكل مبالغ في دوافع كل شخص وتحول في شخصيته من الشاب اللطيف الذي أحبته إليانور إلى طاغية ومستبد وغامض وأصبح مخادع لا يهتم بالوعود والقسم اللذان لم يكن لهما أي قيمة عنده وبرغم أن سجنه لإليانور حل أحد مشاكله الشخصية لكن بقيت أمامه أربعة مشاكل أكثر قلقا، فقد ظلت مشكلة أبنائه الذين ضايقوه وتمردوا عليه وبرغم أن التمرد قد انتهى في عام 1174م إلا أن هنري صمم على حل مشكلة الملك الصغير الذي هرب إلى باريس خشية أن يعاني من نفس مصير والدته[2]. وحتى ربيع عام 1175م ظل الملك الشاب هاربا لكن بعد هذا التاريخ جاء الملك الشاب إلى والده في بوريس Bures حيث سقط أمامه على الأرض واستجداه بالدموع ليتقبل ولاءه وتبعيته وإخلاصه ونتيجة لذلك وعده الملك هنري بإعطائه نصيب أكبر من الأملاك وطمأنه ومنحه الأمان وبناء على ذلك وافق الملك الشاب على العودة إلى انجلترا مع والده.

تحدث رالف أوف ديستو عن الصداقة الرائعة التي نمت بين الأب وابنه في تلك الفترة فقال "أنهما كانا يتناولان الطعام معا كل يوم، وأثناء الليل ناما في غرفة واحدة معا"[3] وقاما معا بعدة رحلات في أنحاء المملكة بغرض أن يتعلم الملك الشاب كيفية إدارة المملكة التي كان بها أكبر حكومة منظمة في العالم، كما حضر المجامع الكنسية واجتماعات النبلاء واستقبل سفارات أجنبية، وحطم القلاع الغير شرعية، لكن هذا التحكم الشديد في الابن أدى إلى نتيجة عكسية.

فقد وجد الملك الشاب أن تلك الأعمال التي قام بها شاقة لأنه كسول بطبيعته، ثم بدأ يشتاق إلى البطولات ورفقة أصحابه والاشتراك معهم في المسابقات والبطولات والشراب.

إن إصرار والده على إبقائه في انجلترا وفرضه الرقابة المستمرة عليه جعل الابن يشعر بأنه يعيش في سجن أقل حرية من السجن الذي تعيش فيه والدته في سالسبوري، لذلك صمم الملك الشاب على الهروب مهما كلفه الأمر، وطلب من والده السماح له بالقيام بالحج إلى القديس جيمس في كوموبوستيلا[4] St. James of Compostella.

(1) Roger of Hovedon, Analls, Vol 2, P. 516, Meade, Eleanor, pp. 282- 283. Kelly, Eleanor, P. 200. owen, Eleanor, PP. 70 – 71.
(2) Meade, Eleanor, P. 283.
(3) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل زكار، ج30، ص530، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص285.
Meade, Eleanor, P. 284, Kelly, Eleanor, P. 193.
(4) Meade, Eleanor, P. 284, Kelly, Eleanor, P. 196.

أدرك الملك هنري أن ما يطلبه منه ابنه هو مجرد حيلة للهروب منه والانضمام إلى أصدقائه القدامى، كما شعر بأنه لن يستطيع احتجازه أكثر من ذلك، لذلك سمح له ولزوجته مارجريت بزيارة باريس بشرط أن يسافرا بعد أن يقدما ولاءهما للملك لويس ويقوم بمساعدة أخيه ريتشارد في كفاحه المستمر مع بارونات الجنوب.

كان الملك هنري يقصد من وراء ذلك محاولة إبعاد ابنه عن حياة اللهو التي كان يحياها لذلك لم يعطه إلا أموالا قليلة كما اختار أحد رجاله الأمناء ليكون رقيبا ومستشارا له وهو آدم شور شدوان Adam of Churchd own[1].

بعد وصول الملك الشاب إلى فرنسا عام 1176م تأكدت مخاوف الملك هنري فبمجرد وصوله بدأ فورا في البحث عن أصدقائه القدامى الذي كان الملك هنري قد طردهم من قبل، حيث قضى طوال الصيف معهم في مسابقات وبطولات كما طلب من ابن عمه كونت الفلاندرز إمداده بالأسلحة والخيول حتى يمكنه المشاركة في تلك البطولات بأسلوب يناسب مكانته كملك، لكن بحلول فصل الخريف انتهى موسم البطولات وعاد الملك هنري مرة ثانية إلى حالته الأولى من الملل والكآبة، فلم يجد أي عمل يقوم به لذلك انجرف إلى أكوتين لتقديم المساعدة لأخيه ريتشارد كما طلب منه والده لكن من الواضح أنه فعل ذلك بتردد شديد.

فقد تساءل الملك الشاب لماذا يجب أن يقدم المساعدة لأخيه ريتشارد لحل شئون دوقيته بينما هو نفسه لم يكن لديه شئ يمكن أن يدعي ملكيته.

ظهر الملك الابن لمدة قصيرة في أنجوليوم حيث كان ريتشارد يقوم بإحدى حملاته ضد الثوار وبعد ذلك توجه إلى بواتييه حيث حشد أصدقاءه القدامى من محكمة والدته وجمع العديد من الفرسان الذين أيدوه أثناء تمرده السابق.

دعم الأتباع في الجنوب شكاوى الملك الشاب ضد والده ووجد نفسه موضع اهتمام كبير من هؤلاء الأتباع واعتبروه بطلا فعليا بالنسبة لهم.

استمع آدم شور شدوان إلى محادثات هؤلاء النبلاء الذين ظهرت خيانتهم بصورة مريبة، فقد رأى أن ذلك قد يكون بداية تمرد جديد لذلك كتب إلى الملك هنري يحذره، لكن رسائله وقعت في يد الملك الشاب الذي أمر بأن تربط يداه وراء ظهره ويجلد عاريا في أحد شوارع بواتييه[2].

ورغم أن الرياضة والبطولات والمسابقات التي شارك فيها الملك الشاب قد استنفذت طاقته ونشاطه، لكنها لم تقض على غضبه وحقده على والده، فرغم الانتصارات التي حققها في بطولاته والشهرة التي اكتسبها كفارس خلال تلك المسابقات إلا أن ذلك لم يخفف من سخطه العام ولم يؤد إلى صفاء نفسه خاصة بعد نجاح أخيه ريتشارد في مواصلة النضال والحرب ضد الثوار للاحتفاظ بدوقيته وإبعادها عن أي خطر. فقد نجح ريتشارد وهو في الثامنة عشرة من عمره في إخماد حركات التمرد والثورة في أكوتين بشكل واضح وعنيف الأمر الذي أكسبه كراهية الأتباع له وجعله يحظى بإعجاب والده له[3].

(1) Meade, Eleanor, PP. 284 – 285., Kelly, Eleanor, PP. 196 – 197.
(2) Meade, Eleanor, PP. 284 – 285, Dismond, Eleanor, P. 140, Kelly, Eleanor, PP. 196 - 197 , Alison, Eleanor, P. 224.
(3) Meade, Eleanor, P. 285 Alison, Eleanor, P. 224.

أخمد ريتشارد تمرد الأتباع في ليموج عام 1176م وفي العام التالي بدأ بالقطاع الشمالي من الدوقية وفي عام 1179م قام بأسر جيفري دي رانكون الذي تحصن بقلعة تيلبورج Taillebourg المنيعة والتي قام ريتشارد بالاستيلاء عليها وبعد ذلك أمر بهدمها وتسويتها بالأرض مما أدى إلى فزع المواطنين[1].

وهكذا وقبل أن يصل ريتشارد العشرين من عمره ازدادت شهرته كخبير عسكري من الدرجة الأولى في أوروبا الغربية تلك الشهرة التي زادت من غيرة وحقد أخيه الأكبر عليه.

ثورة الدوق ريتشارد ضد والده الملك هنري الثاني :

شعر الملك هنري باليأس في نهاية عام 1182م لفشله في استرضاء ابنه الملك الشاب فكل محاولة باءت بالفشل الذريع رغم وعوده له بمنحه مبالغ مالية وعلاوات أكبر مما اضطره إلى الاعتراف بعدم قدرته في السيطرة عليه.

حاول الملك هنري استرضاء وريثه بأي وسيلة لكن دون أن يمنحه أي أراضي أو سلطة، لذلك صمم على إقامة الاحتفال بعيد الميلاد لعام 1183م بأسلوب راق يحظى بإعجاب الملك الشاب الذي اعتاد على المآدب الفخمة لذلك أقام الملك هنري في مدينة كان Can احتفالا عظيما بتلك المناسبة ودعى إلى هذا الحفل النبلاء والأساقفة لتجديد ولائهم وقد ذكر المؤرخون أن ذلك الحفل كان أرفع وأجمل الاحتفالات التي أقامها الملك هنري فقد احتشد أكثر من ألف شخص، وواصلوا الهتاف لسيدهم الأعلى الملك هنري كما حضر الأمير جيفري ابن الملك وأتباعه بارونات بريتاني. كما حضر الأمير ريتشارد[2] وضم الحفل أيضا ماتيلدة ابنة إليانور وزوجها هنري الأسد وأطفالهم والذين نفاهم الإمبراطور الألماني.

وكان من بين الحضور الملكة مارجريت التي كانت علاقتها بزوجها الملك الشاب متوترة آنذاك بسبب غيرته الخاطئة من المارشال وليام الذي اعتقد أنه تجرأ على حب زوجته.

وصل الملك الشاب إلى الحفل وقد بدا عليه الغضب والتجهم فقد أهمل المناضد والولائم التي أقامها له والده، وأخذ يلقي بنظرات حادة إلى أخيه ريتشارد الذي قام ببناء قلعة على طول الحدود بين بواتييه وأنجو متجاهلا حدود ميراثه، فاشتكى الملك الشاب إلى أبيه وطلب منه إجبار ريتشارد على هدم تلك القلعة.

عندما أهمل الملك هنري شكوى ابنه ضد أخيه انفجر الملك الشاب في موجة غضب عارمة ثم بدأ يهدد والده أنه إذا لم ينظر باهتمام في شكواه فإنه سوف يترك والده ومملكته ويرحل إلى الأراضي المقدسة ولن يعود أبدا[3].

رغم سوء سلوك الابن فقد حاول الأب تهدئته ونظر إليه بعين الرحمة، ودعا كل من جيفري وريتشارد وأمرهم بتقديم الولاء إلى أخيهم الأكبر سنا وبينما أبدى الأمير جيفري استعداده لتنفيذ ذلك رفض ريتشارد حتى مجرد الاقتراح وأكد لوالده أنه تولى حكم دوقيته عن طريق والدته إليانور، وليس عن طريقه كما أنه قدم الولاء عن أراضيه لملك فرنسا السيد الأعلى القانوني لدوقية أكوتين.

---

(1) رالف أوف دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ترجمة سهيل ذكار، ج30، ص540-541، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص303.

(2) Meade, Eleanor, P. 285, Kelly, Eleanor, PP. 208 – 209, Owen, Eleanor, P. 71.

(3) Meade, Eleanor, P. 286, Alison, Eleanor, P. 226, Kelly, Eleanor, p.207.

استمر ريتشارد في إخبار والده بأنه قد قام بسجن والدته أما بالنسبة لأخيه الأكبر فإنه إذا أراد أرضا أو أملاكا فعليه أن يكافح من أجل تحقيق ذلك وبعد ذلك أدار ريتشارد ظهره ومضى خارجا.

استشاط الملك هنري غضبا منه، خاصة بعد تعرض ريتشارد للحديث عن سجن والدته، لذلك أظهر الملك هنري تعاطفا ناحية ابنه الملك هنري وأعطاه الإذن لتهذيب أخيه ريتشارد.

سافر الملك هنري الشاب في أوائل 1183م مصطحبا أخاه جيفري إلى بواتييه، حيث انضم إليه البارونات الساخطين والمتمردين على ريتشارد الذي ظل يناضل ويقضي على حركات تمردهم طوال السنوات الثمانية الماضية[1]، وخلال بضعة أسابيع أدرك الملك هنري أنه ارتكب خطأ جسيما حينما سمح لابنه الملك الشاب بتهذيب ريتشارد فالتنافس بين الأبناء تحول بطريقة ما إلى ثورة شاملة تضمنت فيليب أغسطس ودوق برجنديا وكونت تولوز وأدرك الملك هنري أنه إذا لم يساعد وينقذ ريتشارد فإنه سيفقد أكوتين إلى الأبد، لذلك سافر الملك هنري بنفسه إلى ليموج في فبراير عام 1183م للتفاهم مع ابنه الملك هنري الصغير.

بمجرد وصول الملك هنري أمام أسوار المدينة تعرض لوابل من السهام التي قذفت عليه، فأصابه الذعر لأن سهما اخترق عباءته، وفي مساء ذلك اليوم، أسرع الملك هنري الصغير إلى والده يوضح له أن السهم الذي أصابه كان حادثا عشوائيا ولم يكن مقصودا ورغم ما قدمه الابن لأبيه إلا أن الملك هنري لم يثق فيه خاصة بعد أن رفض الابن نزع أسلحته أو الجلوس لتناول العشاء مع والده الذي كان متلهفا للحصول على قسم من إبنه لإقناع البارونات الثوار للإذعان للملك، فإن لم يتمكن يتركهم وينضم ثانية إلى والده[2].

لكن الملك الابن لم يذعن لرغبة والده فقد حث البارونات الثوار على تحصين مدنهم ضد هجوم الملك هنري وعندما رآهم الملك هنري[3] يحفرون الخنادق ويكسروا أحجار الكنائس لاستخدامها في مجانيقهم، ركب بشكل سريع إلى أسوار المدينة لاستجداء إبنيه هنري الصغير وجيفري وللمرة الثانية تعرض لوابل من السهام، وكاد أن يفقد حياته لولا أنه تفادى ذلك السهم الذي كاد أن يخترق جسده.

قدم الملك الصغير إلى والده معتذرا وسلم درعه لوالده وظل ماكثا عنده عدة أيام ليثبت حسن نيته، وفي الوقت نفسه كان الأمير جيفري يقود فرقة من الجنود المرتزقة حيث قام بنهب الأديرة الموجودة داخل مدينة ليموج Limoges.

أثار سلوك الملك الصغير في ليموج اشمئزاز معاصريه، وبينما انشغل الملك هنري بحصار المدينة، سيطر الجنون على الملك الصغير الذي أخذ يحوم حول مدينة ليموزين ثائرا بعد أن ضجر من القتال أخذ يبحث عن أي وسيلة لتحسين أحواله المالية خاصة بعد أن قطع والده عنه المنح والعلاوات المالية التي كان يمنحها له[4].

---

(1) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص563-564، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص307-308.
Meade, Eleanor, P. 287, Kelly, Elenaor, P. 211, Alison, Eleanor, P. 226.

(2) Meade, Eleanor, 287, Alison, Eleanor,P. 226 – 227, Kelly, Elenaor, P. 215.

(3) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص564، روجر اوف ويندوفر: ورود التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص308.

(4) Meade, Eleanor, P. 288, Kelly, Elenaor, P.P. 215-216. Dismond, Eleanoe, P.141.

لذلك قام في نهاية شهر مايو عام 1183م بالتجول بفرقة من المرتزقة وبدأ بالسلب والنهب ونشر الرعب في كافة أنحاء المدينة وفي أوائل شهر يونيو عام 1183م، قام الملك الصغير وفرقته بسلب ونهب الضريح المشهور في دور دوجن Dordogne حيث ملأوا حقائبهم بالكنوز وفي نفس الشهر وقبل أن يستمر الملك الصغير طويلا شعر بأعراض المرض حيث أصيب بالحمى وبعد أن ساءت حالته أرسل إلى والده يطلب حضوره، لكن مستشاريه حذروه من الذهاب بنفسه خشية أن تكون هناك مكيدة من ابنه ونصحوه أن يكتفي بإرسال طبيب وأموال دون أن يذهب هو بنفسه(1).

أخذ الملك هنري بنصيحة مستشاريه وعاد الرسول إلى الإبن الذي أدركته الوفاة في الحادي عشر من يونيو عام 1183م، وحزن عليه والده حزنا شديدا "حيث ألقى بنفسه على الأرض وندب ابنه كثيرا".

بعد ذلك مباشرة أرسل الملك هنري توماس اجنيلوس Thomas Agnellus رئيس شماسين ويلز لإخبار الملكة بوفاة ولدها، وبمجرد وصوله فوجئ أجنيلوس أن إليانور قد علمت بوفاة ابنها، وهذا يؤكد أن حياة إليانور في السجن لم يمنعها من مسايرة الأخبار الخارجية على أية حال فإنه من الممكن أن تكون قد عرفت بوفاة ولدها من السجانين(2).

وبالرغم من أن إليانور لم تكن تتمنى أبدا مجئ ذلك اليوم الذي تعرف فيه بموت إبنها إلا أنها أخبرت أجنيلوس بأنها قد شعرت بوفاته قبل ذلك وأنها رأته في منامها وقد بدا سعيدا ومرتديا تاجين أحدهما فوق الآخر وكان التاج الأسفل ساطعا بشكل لا يمكن مقارنته والتاج الآخر عكسه.

ما رأته إليانور لا يحتاج إلى تفسير فأحد التاجين كان يدل على السلطة الدنيوية التي انطفأت بموته(3).

إن وفاة الملك الشاب وضع ريتشارد ابنها المفضل كوريث لعرش انجلترا وأصبح واضحا تماما أن ميراث البلانتاجنت يجب أن يعاد توزيعه مرة أخرى وهذا ما قرر الملك هنري القيام به، فبعد مرور ثلاثة أشهر على وفاة الملك الصغير استدعى الملك أبناءه الثلاثة الباقين على قيد الحياة إلى أنجري Angers حيث أمر ريتشارد بتسليم أكوتين إلى أخيه الأصغر حنا وفي نفس الوقت لم يذكر له أي شئ على الإطلاق حول منحه ميراث أخيه المتوفى(4).

فقد أصبح واضحا لها أن هنري كان يقصد من وراء هذا الترتيب حرمان ابنها المفضل من أي شئ وإعطاء ابنه حنا انجلترا ونورمنديا وأنجوومين وفوق ذلك أكوتين أيضا، وأدركت أن الملك هنري لم يكتف بتحطيمها بل إنه حطم الشخص الذي أحبته وفضلته دائما.

لقد بدا واضحا أن الصراع على السلطة سوف يتجدد مرة أخرى لكن إليانور الآن أسيرة وليست في وضع يسمح لها بالحرب لكنها كانت تدرك جيدا أن ريتشارد بالغ وقادر على المطالبة بحقوقه لذلك غادر ريتشارد أنجري دون أن يتحدث مع والده وما أن وصل إلى بواتييه حتى أرسل رسالة إلى والده يخبره فيها بأنه لن يتنازل عن أراضيه لأي شخص مهما كانت الظروف وطالما ظل على قيد الحياة.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 288, Kelly, Eleanor, P. 216, Owen Eleanor, PP. 71 – 72, Owen, Eleanor, PP. 71 – 72, Dismond, Eleanor, P. 141.

(2) Roger of Hovedon Analls, vol 2, P. 26.
رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص564.

(3) Meade, Eleanor, P. 289, Owen, Eleanor, P. 72, Alison, Eleanor, P. 229, Kelly, Eleanor, PP. 221 -222.

(4) Roger of Hovedon, Annals. Vol2, PP. 20 – 22.

كان الملك هنري الصغير قد طلب من والده قبل وفاته أن يعامل الملكة برأفة، لذلك أطلق الملك هنري سراح الملكة إليانور عام 1184م وسمح لها بمغادرة سالسبوري والعودة إلى دوقيتها[1].

كانت إليانور تدرك جيدا أنها لم يعد لديها ميراث لأنها كانت تعلم أن هنري كان يهدف من وراء إطلاق سراحها إلى استخدامها كضمان لتنفيذ مخططاته السياسية فبعد وفاة الملك الصغير تعرض الملك هنري الثاني لمشكلة كبيرة فقد طالب فيليب أغسطس بميراث أخته مارجريت أرملة الملك المتوفى، والتي أصبح من حقها منطقة فيكسين Vexin وبعض الضياع الإقطاعية في انجلترا، لكن الملك هنري رفض ذلك وبرر ذلك أن تلك الأرض ممتلكات خاصة لإليانور وحتى يؤكد ويثبت موقفه أمرها بأن تقوم بجولة عامة في أراضيها.

بدأ إسم إليانور يظهر كثيرا في السجلات الرسمية والمخطوطات من بداية أبريل 1184م، كما بدأت تقوم بعدة رحلات إلى بعض مدن دوقيتها، ففي يونيو عام 1184م زارت إليانور مدينة وودستوك كما التحقت بابنتها ماتيلدة وزوجها وليام دوق ساكسوني Saxony في وينشستر حيث أنجبت ماتيلدة طفلا آخر، وفي يوليو من نفس العام انتقلت العائلة المالكة إلى بيرخامستيد لقضاء فصل الصيف هناك كما عملت إليانور على الاستمتاع بحريتها فأنفقت ببذخ على الملابس والنبيذ ورغم أن هنري أطلق سراحها من السجن إلا أنه لم يوافق على منحها كامل حريتها وإنما سمح لها بممارستها بما يتفق مع رغبته ومصالحه[2].

انعقد بلاط الملك في ويست منستر Westminister في الثلاثين من نوفمبر 1184م، وكان ذلك مجلس للملك إلى جانب كونه إعادة لجمع شمل العائلة المالكة حيث حضرت ماتيلده وعائلتها وبعد مرور عشر سنوات أصبحت إليانور قادرة على رؤية أبنائها مرة أخرى وعلى أية حال فقد أصبح واضحا لها ولأبنائها أن الغرض من هذا الاجتماع هو قيام كل منهم بدور معين لصالح هنري.

ففي هذا الاجتماع وضعت إليانور في مكان الشرف، وهكذا تبين للبارونات المجتمعين استعادة إليانور لمكانها الشرعي في العائلة المالكة.

كمما استدعى الملك هنري أبناءه الثلاث حنا، جيفري، وريتشارد وطلب من حنا وجيفري أن يغفرا لأخيهم ريتشارد وأن يعقدا سلاما معه وقد نفذ الإبنان ما طلبه منهما والدهما فسعد الملك بذلك وشعر بالرضا[3].

اتجهت العائلة المالكة بعد ذلك إلى ويندسور[4] Windsor وهناك طلب الملك هنري من إليانور التصديق على ترتيبه الجديد للإمبراطورية لكنها رفضت فيبدو أن سجنها لمدة عشر سنوات لم يخلصها من عنادها وكراهيتها للأمير حنا.

(1) Meade, Eleanor, P. 290, Kelly, Eleanor, P. 225, Owen, Eleanor, P. 74, Alison, Eleanor, P. 229, Dismond, Eleanor, P. 141

(2) Meade, Eleanor, PP. 290 – 291, Owen, Eleanor, P. 74, Dismond, Eleanor, P. 142, Alison, Eleanor, PP. 229 – 230.

(3) Meade, Eleanor, PP. 290 – 291, Owen, Eleanor, P. 74, Dismond, Eleanor, P. 142, Alison, Eleanor, PP. 236 – 237.

(4) ويندسور: مدينة إنجليزية تقع على نهر التايمز إلى الغرب من مدينة لندن. انظر:
Moore, Encylopedia, P. 862.

عاد ريتشارد في 1185م إلى بواتييه، بينما سافر جيفري إلى نورمنديا لتولي شئون الدوقية، وظلت إليانور طوال شتاء عام 1185م مع ابنتها ماتيلدة وعائلتها في انجلترا، حيث راقبت التطورات بعيون قلقة، فقد ارتفع نجم ومكانة الأمير حنا الذي كان في التاسعة عشر من عمره عندما رفعه والده إلى رتبة فارس، كما أرسله والده في مارس 1185م لاعتلاء عرش أيرلندة ومنذ اليوم الأول لتوليه أثبت حنا عدم شعوره بالمسئولية الكاملة فبمجرد رؤيته هو وأصدقائه للزعماء الأيرلنديين حتى انفجروا في موجة من الضحك الصاخب والسخرية والاستهزاء بهم بسبب إطلاق الأيرلنديين للحاهم كما أن ملابسهم كانت متواضعة كما قام بانتزاع القلاع والأراضي من الأيرلنديين وأعطاها لأصحابه[1]، حالو ريتشارد فهم أعمال وتصرفات والده المحيرة، وبدا متأكدا من أن ترقية هنري لأخيه وبدا متأكدا من أن ترقية هنري لأخيه حنا وتعيينه لجيفري أمر ينذر بمحاولة لتقليص أملاكه برغم أنه لم يهتم بعلو مكانة حنا أو جيفري إلا أنه كان يخشى أن يفقد دوقية أكوتين التي اعتبرها ملكية خاصة له[2]، لذلك حصن ريتشارد قلاعه وأطلق هجوما على جيفري وحمل أخاه أسيرا معه[3]، بعد ذلك قام الملك هنري بعبور القنال الإنجليزية غير مهتم بالكوارث الطبيعية التي عمت انجلترا[4] والتي تعرضت لزلزال رهيب في بداية شهر أبريل عام 1185م[5]، وكان ذلك لتهدئة أبنائه المتحاربين، وعلى ما يبدو أن محاولته باءت بالفشل لأنه خلال الأسبوعين التاليين اضطر لاستخدام القوة لإجبار ريتشارد على الطاعة، فطبقا لأوامره حضرت إليانور إلى نورمنديا في أواخر شهر ابريل وبعد فترة قليلة من وصولها إلى بايوكس Bayeux أمر الملك هنري إبنه ريتشارد بالتخلي فورا عن بواتييه وتسليمها إلى إليانور لأنها ملكا لها، كما حذره أنه إن لم ينفذ أوامره، فسوف يدفع أمه إلى توجيه جيش ضده لاسترداد بواتييه، ولعل ذلك كان مجرد تهديد لريتشارد فقط.

لذلك تنازل ريتشارد عن الدوقية لوالدته وعاد إلى بلاط والده حيث التزم بالطاعة العمياء له، كما بقيت إليانور في الدوقية حتى ربيع عام 1186م حيث التزمت هي الأخرى بالطاعة العمياء لأوامر زوجها ونصحت ريتشارد بالالتزام بها، وخلال إقامتها في بواتييه تمكنت من جمع معلومات عن العديد من جيرانها وأهمها المعلومات الخاصة بفيليب أغسطس وريث ملك فرنسا لويس كابيه، والذي اتصف بعدة صفات كان من أهمها الذكاء الحاد الذي كان يتمتع به رغم ضعف ثقافته كما علمت إليانور أن حلم فيليب أغسطس هو تحطيم الإمبراطورية التي أقامها هنري وأخذ يسعى لتحقيق ذلك خاصة بعد أن اكتشفت أن حلفاءه الأقوياء ضد هنري هم أبناء هنري نفسه لذلك شعرت إليانور بالقلق والغضب بسبب أحلام فيليب وخططه ورأت أنها مع كراهيتها له إلا أن أبناءها لم يبادلوه نفس الشعور فإبنها الذي توفي كان يفضل قضاء وقته في باريس وبدأ جيفري يسير على خطاه، وخلال السنة التي قضتها إليانور في الدوقية كان جيفري يعيش مع فيليب أغسطس في قصر آل كابيه كأخ له، وذلك لما يشعر به من ضيق بسب ضآلة ميراثه في بريتاني فبدأ يدين بالولاء والتبعية إلى فيليب أغسطس الذي عينه في منصب مندوب أمير فرنسا[6]، حتى أن المؤرخ وليم

(1) Meade, Eleanor, PP. 291 –292, Owen, Eleanor, P. 74, Kelly, Eleanor, P. 226, Dismond, Eleanor, PP. 144 – 145, Alison, Eleanor, P. 239.
(2) Meade, Eleanor, P. 291 – 292, Kelly, Eleanor, P. 226, Owen, P. 74.
(3) Roger, of Hovedon, Annals, Vol 2, PP. 50 – 51.
(4) Meade, Eleanor, P. 292, Alison, Eleanor, P. 237, Dismond, Eleanor, P. 144.
(5) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص67.
(3) Meade, Eleanor, P. 292, Alison, Eleanor, P. 237, Dismond, Eleanor, P. 144.

نوبيره علق على ذلك قائلا "بأن هذا الإبن اشتغل بخدمة ملك فرنسا وقام بجهود عظيمة لإزعاج ومضايقة والده"[1].

إن المؤامرة التي كانوا يخططون لها كانت تتمثل في امتلاك نورمنديا، وكانت الملكة إليانور هي الشخصية الوحيدة التي تتوقع ذلك وبعدها تركت إليانور جيفري ومكائده وعادت إلى انجلترا مع زوجها في أبريل عام 1186م وبعد مرور ثلاثة أشهر وفي 19 أغسطس توفي جيفري بعد سقوطه من فوق حصانه أثناء اشتراكه في إحدى المباريات في باريس، حيث دهس بحوافر الخيول والتي أنهت حياته فورا، وقام الفرنسيون بنقله إلى كنيسة نوتردام في باريس حيث دفن بها وسط حزن شديد من الفرنسيين، وقد شعر الملك هنري بشئ من الحزن والأسف على ولده رغم أنه لم يكن مخلصا له.

توفي جيفري وهو في الثامنة والعشرين من عمره تاركا ابنتين وزوجة كانت حاملا حيث أنجبت له ابنا فيما بعد أطلق عليه اسم آرثر[2]. وفي خريف عام 1187م، اجتاحت أوروبا موجة من الذعر بعد نجاح القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي في الاستيلاء على بيت المقدس بعد موقعة حطين الشهيرة[3].

إن تلك الأحداث كانت شيئا متوقعا بالنسبة لإليانور[4] خاصة وأن البطريق هرقل قد وصل في أواخر شهر مارس عام 1185م إلى مملكة انجلترا قادما إلى الشرق حيث التقى بالملك هنري وطلب منه سرعة إرسال إمدادات إلى الشرق والقيام بحملة صليبية للدفاع عن الأراضي المقدسة إلا أن الملك هنري اصطحب معه البطريق هرقل وعدد من البارونات وعبروا إلى نورمنديا حيث التقوا هناك بالملك الفرنسي فيليب أغسطس في الرابع عشر من أبريل عام 1185م، وقد اتفق الطرفان الإنجليزي والفرنسي على تقديم المساعدة والعون للأراضي المقدسة فضلا عن إقرار السلام واستمرار الهدنة بين المملكتين[5]، وقد قام الملكان بإرسال المساعدات إلى مملكة بيت المقدس دون الذهاب بشخصهما إلى الشرق خوفا من قيام كل منهما بالاستيلاء على أملاك الآخر أثناء غيابه في الحملة.

عندما سمع ريتشارد بلانتاجنت عن سقوط القدس حمل الصليب وأعد نفسه للتوجه إلى القدس، وعندما علم الملك هنري الثاني بذلك حزن وانسحب إلى غرفته فقد كان يتوقع العيش في سلام خاصة وأنه بلغ الرابعة والخمسين لكن الأزمات بدأت تلاحقه من كل جانب.

---

(4) Historia, Vol. 1, P. 235.

(2) William of New burgh, Historia, Vol. 1, P. 235, Chronicle Florence of woncester, P. 304, Meade, Eleanor, P. 294, Alison, Eleanor, P. 240, Kelly, Eleanor, P. 226.
رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص568.

(3) عن موقعة حطين انظر:
ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص75-79، العماد الصفهاني: الفتح القدسي، ص81، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص179، ديفيد جاكسون: "معركة حطين والاستيلاء على القدس"، ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد، القاهرة، 1989م، ص86-93، جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة، 1987م، ص103-131، محمد مؤنس عوض: صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، ص154-155.

(4) Meade, Eleanor, P. 294, Kelly, Eleanor, P. 230, Owen, Eleanor, P. 76.

(5) Rogerof Hovedon, Annalls, Vol 2, PP. 51 – 54.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص312-313.

فإذا نظرنا إلى أبنائه نجد أن إثنين منهما توفيا وبقى أكبرهم لكنه كان يكرهه لأنه عنيد ومتهور مثل زوجته، وبرغم أنه نصبه وريثا له، لكنه لم يعترف بذلك رسميا[1].

هذا إضافة إلى شكاوى ومطالب فيليب أغسطس المستمرة من الملك هنري ومطالبته بميراث أختيه مارجريت وأليس وإلحاحه على إتمام زواج أليس من ريتشارد خاصة وأنها أصبحت في السابعة والعشرين من عمرها ولم تتزوج، كل هذه الأمور جعلت الملك هنري يشعر بالقلق والاضطراب.

التقى الملك هنري وفيليب أغسطس في الثاني والعشرين من يناير عام 1188م للتداول ولمناقشة الموضوعات المتعلقة بالابنة أليس وبمقاطعة فيكسن وأثناء اجتماعهم وصل جوسياس Joscius رئيس أساقفة صور حيث نجح في إثارة حماسهم وإقناعهم بضرورة حمل السلاح والتوجه إلى الأراضي المقدسة للدفاع عنها[2].

لقد كان اشتراك الملك هنري وفيليب أغسطس في حملة صليبية واحدة معجزة بالنسبة للعديد من الأتباع أما إليانور فكانت ترى أن الدوافع التي جعلت الملك هنري يوافق على اشتراكه في تلك الحملة جديرة بالاهتمام وربما أراد من وراء اشتراكه في تلك الحملة صرف انتباه فيليب عن إلحاحه الدائم لإتمام زواج أخته أليس والمطالبة بميراثها، وبذلك يتخلص في تلك الحملة من أكثر المشاكل التي سببت قلقا مستمرا له، وعلى أية حال فقبل خمسة عشر شهرا من القيام بالحملة الصليبية قدم الملك هنري إلى انجلترا وقام بإيداع إليانور فجأة السجن في مدينة وينشستر، بينما قالم بالترويح عن نفسه مع أليس محاولا نسيان محاولات فيليب الدائمة لمضايقته.

بحلول شهر يوليو عام 1188م أصبح واضحا للملك هنري أنه لن يستطيع كبح جماح فيليب أكثر من ذلك، حتى أنه ثار وغضب وتحدث ببعض عبارات الكفر أمام أحد الأساقفة قائلا "لماذا أعبد السيد المسيح ولماذا يجب أن أتنازل لإجلاله وقد سمح لي أن أذل بشكل مخزي من مجرد طفل"[3].

التقى الملكان وعقدا مؤتمرا في السادس عشر من أغسطس سنة 1188م استمر ثلاثة أيام حيث استمع الملك هنري خلالهما لمطالب فيليب أغسطس المتعلقة باسترداد منطقة فيكسين وزواج أخته أليس، وفي النهاية غادر المكان دون الوصول إلى أي اتفاق وبعدها أمر ملك فرنسا بقطع شجرة قرب غيسور[4] Gisors والتي اعتاد الملكان الاجتماع تحتها، كما قام بتدمير بضعة قلاع إنجليزية، وفي اليوم التالي غادر الملك هنري غيسور.

خلال شتاء عام 1188م مرض الملك هنري حيث ظل في مدينة لي مانس Le Mance وهي القلعة التي ولد بها وزادت حالته سوءا ولم يبق بجانبه سوى ابنه الصغير الغير شرعي جيفري وابنه حنا والمارشال وليام.

---

(1) Meade, Eleanor, P. 295, Kelly, Eleanor, P. 227, Dismond, Eleanor, P. 144 – 145, Alison, Eleanor, PP. 241 – 242, Owen, Eleanor, P. 76.

(2) Roger of Hovedon, Annals, Vol 2, P. 78.

رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص320، روجر اوف ويندوفر: ورود التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص320.

The Chronicle of Florence, P. 304.

(3) Gerald of Wales, The Autobiography, PP. 256 – 257, Meade, Eleanor, P. 296, Kelly, Eleanor, PP. 236 – 237.

(4) Roger of Hovedon, Annals, Vol 2, PP. 88 – 89.

رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص578.

اجتمع الملك هنري بالملك الفرنسي فيليب أغسطس في الثامن عشر من نوفمبر عام 1188م وقد صدم الملك هنري عندما رأى ابنه ريتشارد من بين الحاضرين في حاشية الملك الفرنسي، وفي هذا الاجتماع طالب ريتشارد والده أن يزوجه أخت الملك الفرنسي وطالب أن يقوم الملك هنري بالاعتراف الرسمي بأملاكه على أساس أنه ولي عهده ووريثه وقد طالب ريتشارد بهذا من خلال الملك الفرنسي ورد الملك هنري أنه لن يوافق لأن هذا معناه أنه سيصبح مسلوب الحرية ونتيجة لذلك قام ريتشارد وعلى مشهد من الجميع بتقديم الولاء للملك الفرنسي عن كل أملاك أبيه من الأراضي الفرنسية وذلك باستثناء الأراضي الخاصة به في فترة حياته[1]، وهكذا انتهى المؤتمر وغادر ريتشارد مع الملك الفرنسي حيث أصبحا صديقان مقربان لكن الملك هنري تجاهل هذه التلميحات[2].

بعد سلسلة من الاجتماعات الغير مثمرة مع فيليب أغسطس عاد الملك هنري في ربيع عام 1189م إلى لي مانس، وبالرغم من تحذير باروناته له باقتراب جيش فيليب وريتشارد من المدينة واستيلائهم على كل قلعة في طريقهم إلا أنه تجاهل كل هذه التحذيرات حتى وجد فيليب وجيشه أمام أسوار المدينة وذلك في الحادي عشر من يونيو عام 1189م في ذلك الوقت فقط شعر هنري بالخطر وأمر بإشعال النار في أحد الضواحي حول المدينة بهدف إبعاد الفرنسيين ولكن فجأة تغيرت الرياح وبدأت النيران تلتهم أسوار المدينة بعد ذلك تدفق الفرنسيون داخلها، بينما لم يجد هنري أمامه سوى حشد فرسانه السبعين والهروب بأقصى سرعة، وحزن بشدة على احتراق مدينة لي مانس لأنها مسقط رأسه التي نشأ وتربى بها[3].

خلال هروب هنري وفرسانه مات العديد منهم بسبب شدة الحرارة حيث سقطوا على طول الطريق وقد نصح مستشاروا هنري بالتوجه إلى قلب نورمنديا حيث يمكنه أن يجد التعزيزات لجيشه أو يرسل إلى انجلترا طلبا للمساعدة، وبينما وافق الملك هنري على إرسال قواته إلى الينكون استدار بنفسه متجها إلى أنجو Angou ولمدة أسبوعين حاول الهرب من الطرق الخلفية التي يعرفها متفاديا بذلك جيش فيليب أغسطس الذي اجتاح المقاطعة.

أصيب هنري بتسمم في الجرح الذي أصاب قدمه وذلك بسبب وعورة الطريق وشدة الحرارة، وفي الوقت الذي وصل فيه إلى قلعة شينون كان السم قد انتشر في دمه ولم يتمكن من تحريك رجلاه ولم يتمكن من الجلوس أو القيام، هذا في الوقت الذي امتلأ فيه الطريق بالفرنسيين، وفي صباح يوم الإثنين الموافق الثالث من شهر يونيو عام 1189م، بدأ جنود فيليب ينصبون أدواتهم لحصار مدينة تور Tours وبحلول منتصف النهار سقطت المدينة في أيديهم[4].

---

(1) Roger of Hovedon, Annalls, Vol, 2, P. 99.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج39، ص331-332، رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص578-579،
Dismond, Eleanor, P. 146, Alison, Eleanor, P. 243.

(2) Meade, Eleanor, P. 296.

(3) Roger of Hovedon, Annalls, Vol, 2 PP. 107 – 108.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص332، رالف أوف دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص582-583.

(4) Roger of Hovedon, Annalls, Vol 2, PP. 108 – 109.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص334، رالف أوف دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص582-583.

وفي اليوم التالي تم استدعاء الملك هنري لحضور مؤتمر في بالان Ballan والتي تقع على بعد بضعة أميال جنوب المدينة المأسورة ورغم الألم الشديد الذي شعر به الملك هنري إلا أنه توجه مع المارشال وليام وقليل من فرسانه إلى موقع المؤتمر لمقابلة عدوه المنتصر.

عندما وصل هنري وفريقه إلى بالان كان التعب والألم قد تغلب على الملك ولم يستطع الحركة.

عندئذ ركب بعض فرسانه إلى موقع المؤتمر لإخبار فيليب بمرض الملك هنري لكن ريتشارد حذره بأن أباه يدعي المرض وأنه يعمل لخداعهم وعندما سمع الملك هنري بتهكم ابنه بذل أقصى جهده لكي يمتطي جواده وأمر فرسانه بإجلاسه فوقه[1].

وافق الملك هنري الذي شعر بحرج موقفه في هذا الاجتماع على كل مطالب الملك الفرنسي والتي كان من أهمها أولاً أن يضع هنري ملك انجلترا نفسه تحت إرادة الملك الفرنسي وأن يقوم بتنفيذ أوامره دون أي اعتراض.

ثانيا يقدم ملك انجلترا الولاء لملك فرنسا عن كل أملاكه، كما قرر ملك فرنسا أن أخته أليس التي يحتفظ بها ملك انجلترا تحت وصايته يتم تسليمها لفليب أغسطس ليضعها تحت وصاية واحد من خمسة بارونات يختارهم ريتشارد صاحب بواتييه وأن تتزوج أليس من ريتشارد فور عودته من القدس مباشرة، وأن يوافق هنري على تولية ريتشارد لممتلكات والده على جانبي القنال الإنجليزية وذلك كوريث قانوني وشرعي لأراضي البلانتاجنت وكدليل على حسن نيته يجب أن يتنازل هنري عن ثلاثة قلاع رئيسية في أنجو وفيكسين، كما أمر فيليب الملك هنري بمنح الأمان وعدم الانتقام من البارونات الذين خانوه وسحبوا ولاءهم من ملك انجلترا خلال الحرب الحالية والتحقوا بقوات ريتشارد[2].

وافق الملك هنري رغما عنه على كل مطالب الملك الفرنسي وبعد ذلك تقدم ريتشارد لأخذ قبلة السلام من والده الذي أشاح بوجهه بعيدا، بعد ذلك غادر الملك هنري وحاشيته عائدا إلى قلعة شينون وهناك طلب من أحد فرسانه تقديم لائحة له بأسماء البارونات الذين خانوه والتحقوا بخصومه خلال الحرب، وكان على رأسهم إبنه حنا.

بكى الملك هنري بشدة لعلمه بخيانة ابنه حنا له فهو الإبن الذي أحبه أكثر من إخوته وقد تعرض بسببه للعديد من المشاكل.

وفاة الملك هنري الثاني :

اشتد المرض على الملك هنري ودخل في مرحلة الهذيان وعندما كان يستيقظ كان يبكي بشدة على خيانة ابنه له[3]. وفي يوم الخميس الموافق السادس من شهر يوليو عام 1189م توفي الملك هنري بعد أن قضى أربع وثلاثين سنة وسبعة عشر شهرا وأربعة أيام في الحكم، وبعد وفاته لم يجدوا الأموال للإنفاق على دفنه حيث كان الخدم قد جردوا الجثة من الملابس والجواهر، ومن ثم فقد جمع أصدقاؤه ما استطاعوا جمعه من بهارج بسيطة فوضعوا تاجا على رأسه وصولجانا بيده ثم حمله بعض من باروناته المخلصين ونقلوه إلى كنيسة فونتفريولت حيث تم دفنه بها[4].

(1) Meade, Eleanor, PP. 297 – 298, Kelly, Eleanor, PP. 242 – 244, Alison, Eleanor, P. 245, Owen, Eleanor, P. 77.
(2) Roger of Hovedon, Annalls, Vol, 2, PP. 110 – 111.
روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص335، رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص584.
(3) Meade, Eleanor, P. 298 – Alison, Eleanor, PP. 245 – 246.
(4) Roger, of Hovedon, Annalla, Vol, PP. 110 – 111.

تم إرسال المارشال وليام إلى ريتشارد لإخباره بوفاة والده ولم يأت ريتشارد لحضور دفنه إلا في اليوم التالي حيث دخل الكنيسة بهدوء وأخذ يحدق في جثمان والده، ورغم أن تعبيرات وجهه لم تبد واضحة ولم يعرف هل كان سعيدا أم حزينا فلا أحد يمكن أن يفسرها[1]، لكن منذ وقوف ريتشارد أمام الجثمان أخذ الدم يتدفق من فم والده ولم يتوقف طوال بقاء ريتشارد في الكنيسة وقد علق أحد المؤرخين على ذلك قائلا "كما لو أن روحه تحركت بامتعاض"[2].

مما سبق يتضح لنا أن السلوك الشخصي للملك هنري وعلاقته بروزاموند قد أثر بالسلب على علاقة إليانور بالملك هنري وكان سببا في نزوحها إلى مقاطعاتها بالجنوب حيث أخذت تغرس بذور الحقد والكراهية في نفوس أبنائها تجاه والدهم ثم بدأت تحرضهم على التمرد والثورة ضده مستعينة في ذلك بالملك لويس السابع ثم نجاح الملك هنري في القضاء على تلك الثورة والانتقام من زوجته إليانور بحرق مدنها الخاصة وإلقاء القبض عليها ووضعها في السجن لمدة ستة عشر عاما مما أدى إلى غضب أتباعها في الجنوب وثورة إبنها الدوق ريتشارد احتجاجا على سجن والدته ثم انضمامه إلى الملك فيليب أغسطس الذي كان صديقا مقربا له، وتحالفه معه ضد الملك هنري وقيامهم بالاستيلاء على عدد من المدن والقلاع وإحراقهم لمدينة لي مانس الأمر الذي أصاب الملك هنري بالحزن وجعله يتوفى متأثرا بخيانة إبنه له.

(1) Meade, Eleanor, P. 299 – Dismond, Eleavor, P. 151.

(2) رالف أو دستو: صورة التاريخ، ضمن الموسوعة الشامية، ج30، ص585، روجر اوف ويندوفر: أزاهير التاريخ، الموسوعة الشامية، ج39، ص336.